رياض الألفة والمحبة
في آداب الزوج
وحقوقه على الزوجة

يضم جملة من الأخلاق المقتبسة من الكتاب والسنة
في آداب تعامل الزوجة مع زوجها وبيان الحقوق الواجبة
والمستحبة التي تحفظ حياتها الزوجية وتديم ألفتها ومودتها

تأليف
أبي المنذر عمار بن عبد الجليل بن قرّاع الوريفي الحوباني
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه والمسلمين

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

رياض الألفة والمحبة في آداب الزوج وحقوقه على الزوجة

رِيَاضُ الأُلْفَةِ وَالمَحَبَّةُ

فِي

آدَابِ الزَّوْجِ وَحُقُوقِهِ عَلَى الزَّوْجَةِ

يضم جملة من الأخلاق المقتبسة من الكتاب والسنة في آداب تعامل الزوجة مع زوجها وبيان الحقوق الواجبة والمستحبة التي تحفظ حياتها الزوجية وتديم ألفتها ومودتها

تأليف

أَبِي المُنْذِرِ عَمَّارِ بْنِ عَبْدِ الجَلِيلِ الحُوبَانِي

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأول: ١٤٤٧ هجرية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبيانًا لكل شيء، وجعل في شريعته كمالًا لا نقص فيه، وعدلًا لا جور معه، ورحمةً واسعة تعمّ العباد أجمعين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شرع لعباده من الأحكام ما تستقيم به حياتهم، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير من أسس البيت المسلم على طاعةٍ ومودّةٍ وسكينة، القائل: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»(١)

أيها القارئ الكريم، لقد عني الإسلام عنايةً بالغة بالأسرة، فهي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، ومتى صلحت الأسرة صلح المجتمع، ومتى فسدت كان الفساد أوسع من أن يُحصر. ولذا جعل الشرع الحكيم لكل طرف من الزوجين حقوقًا وواجبات، وضبط العلاقة بينهما بميثاقٍ سماه الله: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢١].

فليس عقد النكاح كسائر العقود، بل هو أوثقها وأجلّها.

وقد يسّر الله لي من قبل أن أضع بين أيدي القارئ والقارئة كتابًا بعنوان: «**حدائق المودّة والرحمة من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع الزوجة**»، جمعتُ فيه ما يتعلّق

(١) رواه الترمذي برقم (٣٨٩٥) عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصححه الألباني في «جامع الترمذي» (٣٨٩٣)

بحقوق الزوجة على زوجها، وما ينبغي له من المعاشرة بالمعروف، تذكيرًا وتنبيهًا وبسطًا لما جاء به الشرع.

غير أنّ تمام الصورة لا يكتمل إلا ببيان ما للزوج من حقوق وآداب، لئلّا يختلّ الميزان، ولا تذهب المودّة أدراج الرياح، فالبيت المسلم لا يقوم على طرفٍ واحد، وإنما يقوم على شقّين متكاملين: زوجٍ وزوجة، لكلٍ منهما دورٌ وحدود، وحقوقٌ وآداب، وواجباتٌ لا يسع تركها.

فكلا الكتابين جناحان لميزان واحد، لا يستقيم أحدهما إلا بالآخر، ولا تُبنى المودّة إلا بالعدل والوفاء من الطرفين.

ومن هنا كان هذا الكتاب: «**رياض الألفة والمحبّة في آداب الزوج وحقوقه على الزوجة**»، جمعت فيه ما تيسر من الكتاب والسنة، ليكون هاديًا للزوجة المسلمة، ومذكّرًا لها بمكانة الزوج في الشرع، وما أوجب الله عليها نحوه من الطاعة والإكرام والقيام بحقه، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**»(١)

وفي ذلك بيان لعِظم مكانته، وأن طاعته في المعروف من أجلِّ القربات، حتى جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رضا الزوج سببًا لرضا الله عز وجل.

أيها الأحبّة، ليس الغرض من هذا الكتاب الانتصار لجنسٍ على جنس، ولا إعطاء الرجل سلطانًا مطلقًا بلا ضابط، وإنما القصد هو بيان ما قرّره الشرع المطهّر، بعيدًا عن

(١) رواه الترمذي برقم (١١٥٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني في «جامع الترمذي» (١١٥٩).

دعاوى الجاهلية الحديثة التي دعت إلى التمرّد على الفطرة، ورفعت شعار المساواة الموهومة بين الرجل والمرأة، حتى صارت الأسر ميدان نزاع لا ميدان وئام.

وما أحوجنا اليوم إلى الرجوع إلى هدي النبوة، بعد أن كثرت الدعاوى المزيّفة، ورفعت رايات الشهوات، فصارت الأسرة ميدانًا للتجارب الفاشلة بدل أن تكون روضة للسكينة.

وقد رأينا في واقعنا ما يؤكد الحاجة إلى مثل هذا البيان، حيث جهلت كثير من النساء ما للزوج عليهن من حق، أو استثقلت ذلك، أو حملن مفاهيم دخيلة من ثقافات غربية فاسدة، فجاء هذا الكتاب ليردّ الأمور إلى نصابها، ويحيي السنن المهجورة، ويذكّر بما في طاعة الزوج من القربات، وما في الإحسان إليه من المثوبات.

فإلى كل زوجة مسلمة تطلب رضا ربها، وإلى كل بيت يريد أن يعيش في واحة السكينة، أهدي هذه الصفحات علّها تكون مفتاح خير وسعادة.

إنني إذ أقدّم هذا العمل، أسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به نساء المسلمين، ويجعله لبنة في إصلاح البيوت، وسبيلاً إلى السعادة الزوجية، ومفتاحًا من مفاتيح الألفة والمحبّة، وما قصدتُ به إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكّلت وإليه أنيب.

واقع الزواج في زمن الفتن والشبهات

إنّ من ينظر في واقع الأمة الإسلامية اليوم، يجد أن بيت الزوجية قد أصابته سهام شتّى، من الداخل والخارج، فأضعفته عن أداء رسالته.

وقد كانت الأسرة المسلمة عبر التاريخ قلعة حصينة للدين والأخلاق، فإذا تهاوت هذه القلعة سهل على الأعداء اختراق الأمة وتمزيقها.

ومن أعظم ما نزل بساحتنا من فتن: دخول الأفكار المستوردة إلى بيوتنا، عبر الإعلام وشبكات التواصل، حتى صارت كثير من النساء – إلا من رحم الله – تستقي مفاهيمها من دعاوى الغرب، لا من الوحيين ولا من كلام العلماء.

فاختلط الحق بالباطل، وضاعت معالم الطاعة الزوجية، وغُيِّبت مكانة الزوج في النفوس.

لقد شاعت في العقود الأخيرة شعارات برّاقة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب؛ كالمساواة المطلقة بين الجنسين، والتحرر من سلطة الزوج، واعتبار القيام بحقوقه نوعًا من التسلّط الذكوري.

وهذه الدعاوى وإن زخرفها أهلها، فإنها تصادم نصوص الوحي والفطرة السويّة، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، فجعل لكلٍّ منهما طبيعة تليق به، وحقوقًا تتوافق مع خلقته ووظيفته.

ولقد حذّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من زمنٍ تنقلب فيه الموازين، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**».

قِيلَ: وما الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**»(١).

وهذا المشهد نراه ماثلًا في إعلام يهوّن من طاعة الزوج، ويعظّم من عصيانه، بل ويصف الملتزمة بحقوقه بالضعف والتبعية.

وقد زاد الطين بلة أنّ بعض النساء لم يتلقين العلم الشرعي في أبواب الأسرة، فبقين أسيرات عادات موروثة أو ثقافات دخيلة، فحصل التخبّط، وغابت الموازين الصحيحة، وتحوّل البيت من سكنٍ ومودّة إلى ساحة نزاع وشقاق.

ومن هنا جاءت الحاجة الملحّة إلى هذا الكتاب، ليعيد بناء المفاهيم على أساس الكتاب والسنة، ويبين للزوجة مكانة زوجها في الإسلام، وحقّه العظيم عليها، وكيف يكون القيام بآدابه سببًا للبركة والسعادة في الدنيا، والنجاة والفوز في الآخرة.

وليس المقصود من هذا العمل أن يُغفل حق الزوجة أو يقلّل من شأنها، فقد سبقت الإشارة إلى ذلك في كتاب «حدائق المودّة والرحمة».

لكن القصد هنا أن تكتمل الصورة، وأن يُعطى كل ذي حق حقه، وفق قول الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٩١)، والحاكم (٤/ ٥١٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٨٨٧).

فالبيت لا يقوم إلا على جناحين متوازنين، وإذا اختلّ أحدهما اختلّ البناء كلّه.

ومن العدل والإنصاف أن يُبيَّن للزوجة ما عليها كما يُبيَّن للرجل ما عليه، لتستقيم الحياة، وتثمر شجرة الألفة والمحبّة.

تمهيد: في الحث على تيسير المهور وتخفيف مؤونة الزواج

لقد جاء الإسلام دين يسر ورحمة، ومن أعظم مجالات هذا التيسير الزواج؛ إذ هو ميثاق غليظ، ومفتاح للعفة والسكينة، فلا ينبغي أن يُجعل سببًا للمغالاة أو بابًا للمفاخرة بين الناس.

بل إن التغالي في المهور كان ولا يزال من أعظم أسباب عزوف الشباب والفتيات عن الزواج، وانتشار الفتن والشهوات، وضياع البيوت واستفحال الفساد، قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢].

وهذه الآية نصّ في أن الفقر ليس مانعًا من الزواج، بل وعد الله بالغنى مع عقد النكاح.

وأيتها الفتاة المؤمنة، وأيها الولي الكريم، تأملوا هذا التوجيه الإلهي البديع: جعل الغنى والبركة مقرونين بالزواج، لا بالمال المكدّس ولا بالمغالاة في الصداق، فما عند الله خير وأبقى.

وقد وردت الأحاديث الكثيرة الصحيحة في الحضّ على تيسير المهور، منها ما رواه أحمد بسند صحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ أَعْظَمَ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ صَدَاقًا**»(١)

وفي رواية أخرى: «**خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ**»(٢)

فهنا قاعدة نبوية عظيمة: البركة كل البركة في تقليل المهر، والشر كل الشر في تكليفه ما لا يطيق الزوج.

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ». فَقَامَتْ طَوِيلًا.

فَقَالَ رَجُلٌ: «**يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيها**».

فَقَالَ: «**هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ تُصْدِقُهَا؟**»

قَالَ: «**مَا عِنْدِي إِلَّا إِزَارِي هذَا**».

قَالَ: «**إِنْ أَعْطَيْتَهَا إِيَّاهُ جَلَسْتَ لَا إِزَارَ لَكَ، فَالْتَمِسْ شَيْئًا**».

قَالَ: «**مَا وَجَدْتُ شَيْئًا**».

قَالَ: «**الْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ**». فَلَمْ يَجِدْ.

فَقَالَ: «**أَعِندَكَ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ؟**»

قَالَ: «**نَعَمْ**».

---

(١) رواه أحمد (٢٤٥٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٠٦).

(٢) رواه الحاكم (٢/ ١٨٣) وصححه، ووافقه الذهبي.

قَالَ: «قَدْ زَوَّجْتُكَها بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»(١)

وهذا الحديث أصل عظيم في التيسير؛ فقد كان الصداق عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولو بآيات من القرآن، فكيف بالمغالاة اليوم بالذهب والقصور والسيارات؟

وقد قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح مسلم» (٩/ ١٩٤): «فيه استحباب تخفيف الصداق، وترك التغالي فيه؛ لأن المقصود هو النكاح لا المال، ولأن في تقليله تيسيرًا للنكاح ورغبة في النساء، وفي تكثيره تعسيرًا وسببًا للعداوة».

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح الباري» (٩/ ١٨٨): «وفي الحديث أن أقله كافٍ، وأن المغالاة فيه مكروهة».

وأيتها المؤمنة، إن من رحمة الله بك أن يسّر لك هذا الباب، فلا تجعلي نفسك سلعة للمتاجرة، ولا تتبعي من جعلوا المهر وسيلة للكبرياء، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَقَلُّهُنَّ مَهْرًا أَكْثَرُهُنَّ بَرَكَةً»(٢)

ولك يا ولي الأمر، اعلم أن الشرع حمّلك أمانة، فإياك أن تثقل كاهل الخاطب بشروط لا يقدر عليها، فتكون قد أغلقت باب الحلال وفتحت باب الحرام.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «زاد المعاد» (٥/ ١٧٨): «وكان من هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تيسير النكاح بأقل ما يمكن من الصداق، وكانت سنته إنما هي تقليل المهر».

---

(١) البخاري (٥١٣٥)، مسلم (١٤٢٥).

(٢) رواه البيهقي (٧/ ٢٣٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٧٩).

ومن أعجب الأمثلة في ذلك: أن أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان صداقها من النجاشي أربعة آلاف درهم، ومع ذلك لم يطلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ منه شيئًا، بل قبله تيسيرًا ورحمة.

وقد كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحذر من المغالاة في المهور، حتى قال على المنبر: «**أَلَا لَا تُغَالُوا فِي صَدَاقِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مُكْرَمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللهِ، لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. مَا أَصْدَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أُصْدِقَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَةً**»(١)

وهكذا كان حال الصحابة والتابعين: يكتفون بالقليل، ويرون الكثرة شؤمًا، إذ لا قيمة للمال إن ذهب معه الدين والعشرة.

وأيتها الفتاة، تذكري أن المهر ليس ثمنًا لكرامتك، بل هو رمز لعقد شرعي شريف، والزوج الصالح أغلى من كل ذهب، والبركة معه خير من آلاف الدنانير.

ولك أيها الولي، لا تظن أنك إن غاليت في مهر ابنتك حفظتها، بل ربما جرّ ذلك الشقاق والنزاع، وقد يضيق الزوج ذرعًا ويعاملها بجفاء؛ لأنه دخل وهو مثقل بالديون والالتزامات.

فليكن قصدك تزويجها بدين وتقوى، لا بأموال زائلة، وقد قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المقصود بالنكاح العفاف والستر، وما سواه من كثرة الأموال فمكروه».

(١) رواه أبو داود (٢١٠٦)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

أما واقعنا اليوم، فقد فشا فيه التغالي حتى صار المهر سببًا في تأخير الزواج أو تركه، فانتشرت العلاقات المحرمة، وضاعت الأسر، وقلّت البركة.

ونصيحتي لك أيتها الفتاة: لا تنظري للمال وحده، بل اجعلي الدين هو معيارك، فإن جاءك صاحب الدين فلا ترديه بسبب قلة ذات يده.

واعلمي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾.

ونصيحتي لك أيها الولي: بادر بتزويج ابنتك إذا جاء الكفء، ولا تتعلل بقلة المهر، فوالله ما فتح الله على بيت إلا بالتيسير، ولا أغلق باب بركة إلا بسبب التغالي والتشديد.

وخلاصة الأمر:

أن التيسير في المهور سنة نبوية مهجورة، وإحياؤها واجب، وبه تنال البركة، ويستقر البيت، وتسلم الأمة من الفتن، فاحرصوا على البركة، ودعوا عنكم المباهاة.

أيتها الفتاة وأيها الولي، إن الزواج عبادة عظيمة، فخذوا بهدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وسيروا على درب الصحابة، لتنالوا السعادة في الدنيا والآخرة.

الميثاق الغليظ وحُسن اختيار الزوج

أيتها الفتاة المسلمة، إنّ الزواج ليس بابًا من أبواب الدنيا فحسب، ولا رحلة قصيرة تمضي سريعًا، بل هو عقد عظيم وميثاق غليظ، جعله الله أمانة ومسؤولية تُسألين عنها يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢١].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ... وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ»(١)

فاعلمي – رحمك الله – أن الإقدام على الزواج عبادة ومسؤولية، لا نزوة مؤقتة ولا تقليدًا أعمى، بل خطوة خطيرة لا بد أن تسبقها رؤية واستخارة واستشارة.

حُسن الاختيار أساس السعادة

إنّ أول لبنة في بناء البيت السعيد: اختيار الزوج الصالح، فكم من فتاة أعجبتها الدنيا بزخارفها، فاختارت الغني لماله، أو صاحب المنصب لجاهه، أو صاحب الجمال لصورته، فإذا بها تفقد كرامتها وتذوق الهوان.

المال قد يذهب، والجمال يزول، والمنصب يُسلب، ولكن الدين والخلق هما اللذان يبقيان.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»(١)

تأملي – رعاك الله – كيف لم يذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المال ولا الجاه ولا الجمال، وإنما جعل معيار الاختيار: الدين والخلق.

خطر الانخداع بالدنيا

يا أمة الله، لا تغتري بكثرة ما يُعرض عليك من صورٍ براقة، فكم من غنيٍّ بماله أذلّ زوجته، وجعلها آخر اهتماماته، يتنقل بين الشهوات ويستصغرها في عينه.

وكم من جميلٍ بهر النساء بوسامته، فإذا به قاسٍ في معشره، سيئ الخلق، لا يعرف للزوجة قدرًا ولا كرامة.

وكم من صاحب منصبٍ عليٍّ، ما إن سقط جاهه حتى سقطت معه سعادته وسعادة أهله.

قال بعض السلف: «من زوّج ابنته من فاسق فقد قطع رحمها».

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «زوّج ابنتك من رجل تقي، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها».

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤) وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٠٨٤).

الزوج الصالح نعمة لا تُقدّر بثمن

الزوج الصالح – وإن كان فقيرًا – فهو غنى للزوجة بدينه وأمانته، يحفظها ويكرمها ويصون عرضها، يعيش معها حياة الطمأنينة، وإن قلّ المال، ويهبها راحة القلب، وإن ضاقت الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١].

فالعبد المؤمن الفقير خير من الغني الكافر أو الفاسق، لأن العبرة بالقلوب العامرة بالإيمان لا بالجيوب الممتلئة بالأموال.

كلمة ختام

أيتها الفتاة المسلمة، لا تجعلي قرار حياتك بيد العاطفة وحدها، ولا بالميل إلى المال والجاه، بل اجعليه بيد الإيمان واليقين، فإذا اجتمع في قلبك استشعار عظمة المسؤولية مع حُسن الاختيار، فابشري أن بيتك سيكون واحة طمأنينة وسكينة، وميدانًا للألفة والمحبّة، لا ساحة نزاع وشقاء.

الفصل الأول: مكانة الزواج في الإسلام وفضائله

ويشتمل هذا الفصل على إحدى عشر مباحثًا:

المبحث الأول: الزواج سكن ومودة ورحمة

المبحث الثاني: بالزواج تنالين الذرية والنسل

المبحث الثالث: الزواج باب للرزق والبركة وتيسير الأحوال.

المبحث الرابع: الزواج من سنن الأنبياء والمرسلين

المبحث الخامس: الزواج باب للعفاف وغض البصر وحفظ الفرج

المبحث السادس: الزواج من طيبات الدنيا والانقطاع عنه منهي عنه

المبحث السابع: الزواج عون على إقامة الدين

المبحث الثامن: الزواج مباهاة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة

المبحث التاسع: الزواج من أعظم أسباب السعادة في الدنيا

المبحث العاشر: الزواج من خير متاع الدنيا

المبحث الحادي عشر: الزواج يكسبك الأجور والحسنات

المبحث الأول: الزواج سكن ومودة ورحمة

أيتها المسلمة، إن من أعظم نعم الله أن شرع الزواج رحمةً بعباده، فجعل فيه الألفة، والسكينة.

والزواج ليس مجرد ارتباط دنيوي، بل هو آية إلهية تذكرك بقدرة الله وحكمته، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١].

هذه الآية تقرر أن الزواج سكن نفسي وروحي، فالمؤمنة تجد في زوجها أمانًا، والزوج يجد في زوجته طمأنينة.

والمودة محبة صافية لا تشوبها المصالح، والرحمة عطف ورقة وقت الحاجة، فتخيلي أيتها الفتاة كيف يبدل الزواج غربتك أنسًا، وكيف يجعلك شريكة حياة لا أسيرة وحدة.

ومن أعظم البلاء أن ترى بعض النساء اليوم يؤخرن الزواج طلبًا لزينة زائلة، فيفوتهن هذا الخير العظيم، فالزواج ليس قيدًا كما يصوره أهل الأهواء، بل هو ميدان للسكن والرحمة، وبدونه تضطرب المشاعر وتضيق الحياة.

المبحث الثاني: بالزواج تنالين الذرية والنسل

اعلمي أيتها المؤمنة أن من أعظم ثمار الزواج أن يرزقك الله الولد الصالح الذي يكون لك قرة عين في الدنيا وذخرًا بعد الموت، فالأمومة نعمة لا تدانيها نعمة، وهي امتداد لذكرك في الحياة.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢ ﴾ [سورة النحل: ٧٢].

هنا يذكّرك الله بأن الزواج ليس غاية في ذاته، بل وسيلة لحصول النسل المبارك، ولعمارة الأرض بذرية طيبة.

البنون زينة الحياة، وهم سند الوالدين عند الكبر، وامتداد لهم بعد وفاتهم.

أيتها الفتاة، إن طلبك للولد من أعظم المقاصد الشرعية في الزواج، فلا تركني إلى دعوات التبرج والانحلال التي تقلل من شأن الأمومة وتزعم أنها قيد.

فوالله إن الأمومة تاج شرف، ونعمة لا يعرف قدرها إلا من حرمها، وتأملي كيف امتن الله بها في القرآن وعدّها من الطيبات.

المبحث الثالث: الزواج باب للرزق والبركة وتيسير الأحوال.

أيتها المسلمة، قد تظنين أن الزواج يجلب لك مشقة النفقة وضيق الحال، لكن الحقيقة أن الزواج سبب من أسباب الرزق، وقد وعد الله المتزوجين بالغنى من فضله،

قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ»(١)

في هذه النصوص رد على كل فتاة تقول: لن أتزوج إلا غنيًا، فإن الغنى ليس بيد الرجل بل بيد الله.

ورب فقير يغنيه الله بعد زواجه، فيفتح له أبواب الرزق بما يرضيه من الحلال.

أيتها المؤمنة، لا تجعلي المال حاجزًا عن الزواج، فإن من طلب الزواج إعفافًا أعانه الله، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. فالرزق ليس في كثرة المال، بل في بركته وصلاحه.

وما أكثر من اغترت بمال زوجها فهانت عليه وذاقت الشقاء، فكوني ممن يطلب الزوج الصالح ولو كان قليل ذات اليد، فإن الله يكمل لهما بالبركة ما لا يكمل بالكثرة.

أيها الفتاة: الزواج نعمة من نعم الله، وكلما كان أيسر كان أقرب إلى البركة، وأبعد عن المشقة والمباهاة الباطلة.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ، تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا، وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا، وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا»(٢)

(١) رواه الترمذي (١٦٥٥) وقال: حسن، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (١٦٥٥).
(٢) رواه أحمد (٢٣٩٥٦)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (١٩٢٧).

أيتها المسلمة، هذا الحديث يعلمك أن البركة في الزواج لا تكون بالإسراف في المهور ولا في تعسير الخِطبة، بل بالتيسير والسهولة، فكم من زوجات أثقلت بالشروط ففشلت سريعًا، وكم من بيوت قامت على البساطة فدامت وبارك الله فيها.

فلا تجعلي نفسك سلعة تُساوم عليها الدنيا، ولا تُعسري الطريق أمام من طرق بابك وهو من أهل الدين.

واعلمي أن اليسر سبب لدوام المودة، واليسر يجلب البركة من الله، واليسر دليل على صدق الرغبة في طاعة الله ورسوله.

كثير من النساء يتوهمن أن الزواج يضيّق الرزق أو يرهق الزوج، لكن الشريعة قررت أنه باب من أبواب الرزق.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ**»(١)

أيتها المؤمنة، تدبري كيف وعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأن الله يتكفل بعون الزوج الناكح الذي يريد العفاف، أي أن الزواج باب رزق من الله، وليس عائقًا للعيش.

فكم من أزواج فتح الله لهم أبواب الخير بعد زواجهم، ورزقهم من حيث لا يحتسبون.

والزواج ليس أعباءً كما يزعم البعض، بل هو بركة وسبب للغنى.

---

(١) رواه الترمذي (١٦٥٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (١٣٥٢).

فإياك أن تظني أن بقاءك عازبة يزيد رزقك، بل الرزق بيد الله، والزواج سبب من أسبابه.

المبحث الرابع: الزواج من سنن الأنبياء والمرسلين

اعلمي أن الأنبياء الذين هم صفوة الخلق تزوجوا، وكان الزواج سُنّة لهم، فكيف ترغبين عنه وهو من سنتهم؟

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(١)

هذه الآية والحديث يقرران أن الزواج سنة المرسلين، ولم يكن تركه من شأنهم، بل قد أمر الله نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يتزوج وجعل ذلك من سنته.

أيتها المؤمنة، كوني على أثر الأنبياء في هديهم، فليس العزوف عن الزواج تقوى ولا زهداً، وإنما هو مخالفة للسنة.

ولو كان في ترك الزواج كمال لكان الأنبياء أحق الناس به، لكنهم تزوجوا وخلّفوا ذرية.

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

أراد الصحابي أن يترك الزواج ويتفرّغ للعبادة، يظن أن ترك النكاح أزكى وأقرب لله. فجاء التوجيه النبوي ليردّ هذا الوهم، وليبيّن أن الزواج عبادة بحد ذاته، ووسيلة للعفاف، وحفظ الفطرة، وبناء المجتمع الصالح.

أيها الأحبة، لقد ظن بعض الناس أن ترك الزواج قربى وزهد، فجاء التوجيه النبوي واضحًا جليًّا: «**وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**». فالزواج سُنة وهدي، وعبادة وقُربة، فيه حفظ للفطرة، وستر للدين، وسكن للنفس، وذرية صالحة تُرفع بها الدرجات. فطوبى لمن تمسّك بسنة نبيّه، فجمع بين العبادة والسكينة، وبين الطاعة والمودّة، ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢ ﴾ [سورة النحل: ٧٢].

فاستشعري أنك بالزواج تسيرين على خطاهم، وهذا شرف عظيم.

المبحث الخامس: الزواج باب للعفاف وغض البصر وحفظ الفرج

أيتها المسلمة، إن من أعظم نعم الزواج أنه يحصنك من الفتن، ويعينك على صيانة عرضك، وحفظ عفافك، وغض بصرك عن الحرام.

ولهذا رغّب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الشباب بالزواج لما فيه من الوقاية من السقوط في الرذيلة.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(١)

وقال الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

هذه النصوص تبيّن أن الزواج سياج للعفة، فمن أقبلت على الزواج صانت نفسها من مزالق الشهوة، وغضّت بصرها عما حرم الله.

ولذا جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الزواج حصنًا، وحث على المسارعة إليه عند القدرة.

أيتها الفتاة، لا تغتري بزينة الدنيا ولا تُصغي لدعاة التبرج والتحرر، فإن الشهوة إن لم تُضبط أوردت المهالك.

والزواج هو الطريق الشرعي الذي يحفظ لك دينك وكرامتك، ويجعلك أمًا طاهرة في بيت عفيف، بدل أن تكوني فريسة للشهوات.

(١) رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠).

المبحث السادس: الزواج من طيبات الدنيا والانقطاع عنه منهي عنه

إن من الخطأ العظيم أن تظني الزواج نقصًا أو حرجًا، فالزواج من الطيبات التي أذن الله بها، والانقطاع عنه على سبيل التعبد تبتلٌ منهيٌّ عنه.

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رَدَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لَاخْتَصَيْنَا»(١)

في هذا الحديث منع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ التبتل وقطع النكاح، ولو كان خيرًا لأذن فيه.

أيتها الفتاة، إياك أن تعتقدي أن العزوف عن الزواج طهارة أو قربة، بل هو مخالفة للهدي النبوي.

فالزواج زينة الدنيا ومتاعها الطيب، وقد جعل الله فيه راحة للنفس والجسد.

وتأملي أن الصحابة لو أُذن لهم في التبتل لاختصوا أنفسهم، لكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نهى عن ذلك، ليُبين أن الفضل في الزواج لا في تركه. فاحمدي الله أن جعلك مؤهلة لهذه النعمة، واطلبيها طاعة لله وسلوكًا على أثر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

المبحث السابع: الزواج عون على إقامة الدين

اعلمي أن الزواج ليس فقط سكنًا دنيويًا، بل هو معين على الدين، ونصف للعفة، وسند للعبادة.

(١) رواه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢).

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ رَزَقَهُ اللهُ امْرَأَةً صَالِحَةً فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي»(١)

هذا الحديث يقرر أن الزواج يعين العبد على نصف دينه، لأنه يحصنه من الفتن، ويشغله بالعفة والطاعة.

أيتها الفتاة، إذا صرت زوجة صالحة فإنك تعينين زوجك على طاعة الله، وتكونين له سندًا في دينه، وهو يكون لك معينًا كذلك.

والزواج ليس عائقًا عن الدين، بل هو سبب لاستقامته، إذ يصرف الفكر عن الفتن، ويوفر بيئة صالحة للعبادة.

ولهذا قال العلماء: النكاح مع الشهوة أفضل من نوافل العبادة، لما فيه من المصالح الشرعية.

المبحث الثامن: الزواج مباهاة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة

اعلمي أن من فضائل الزواج أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يفتخر بكثرة أتباعه يوم القيامة، وهذا لا يتحقق إلا بالذرية الناتجة عن الزواج.

عن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ»(٢)

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ١٦١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٩١٦).

(٢) رواه أبو داود (٢٠٥٠)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٨٠٥)، و«الصحيحة» (١٧٨٢).

هذا الحديث يرغّب في الزواج بالمرأة لا لمجرد اللذة، بل لتكثير الأمة من نسلها التي يفتخر بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أمام الأمم يوم القيامة.

أيتها المؤمنة، أنت ببقاءك عازبة تحرمين نفسك من أن تكوني لبنة في هذا البناء العظيم.

والزواج مكاثرة محمودة، بخلاف ما يزعمه دعاة تقليل النسل وتحديده بلا حاجة، فكوني على يقين أن كل ولد صالح تخرجينه من صلبك هو شاهد لك يوم القيامة، ودليل على أنك شاركتِ في إعلاء كلمة الإسلام.

المبحث التاسع: الزواج من أعظم أسباب السعادة في الدنيا

كثير من النساء يظنن أن السعادة في الحرية والانطلاق بلا زوج، لكن الشرع والواقع يثبتان أن السعادة في بيت الزوجية الصالح.

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ الضِّيقُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ**»(١)

هذا الحديث يجعل صلاح المرأة ووجود الزوجة الصالحة من أعظم أسباب السعادة، فكيف بمن تكون هي الزوجة الصالحة نفسها؟

أيتها الفتاة، إنك بالزواج تكونين سببًا لسعادة رجل، وتكونين لنفسك سعادةً في بيتك.

---

(١) رواه ابن حبان (٤٠٣٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٢).

وتأملي أن الشقاء عُدّ في المرأة السيئة، فما أتعسها من امرأة شقيت وأشقت زوجها! فبادري لأن تكوني مصدر سعادة، لا سبب تعاسة.

ولا تغتري بالدعاوى الباطلة أن الحرية بلا زواج سعادة، فإن السعادة في أن تجدي من يؤويك ويكرمك وتشاركيه بناء بيت على طاعة الله.

المبحث العاشر: الزواج من خير متاع الدنيا

إن الله جعل للعبد متاعًا في هذه الحياة، وأعظم ذلك المتاع المرأة الصالحة، فهي قرة عين لزوجها وسند له في دنياه ودينه.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**»(١)

أيتها الفتاة، تأملي كيف جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المرأة الصالحة أفضل ما يُتَمتَّع به في الدنيا.

فالمال يزول، والجمال يذبل، والمتاع يفنى، لكن الزوجة الصالحة تبقى بركة في بيتها، سكنًا لزوجها، وتربية لأولادها.

فأنتِ إذا اخترتِ الزواج الصالح وصرتِ امرأة صالحة، فقد حُزتِ أعظم ما في الدنيا من الخير.

(١) رواه مسلم (١٤٦٧).

وهذا الحديث يدعوك ألا تنخدعي بزخارف الدنيا الفانية، بل تطلبي أن تكوني أنتِ بذاتك خير متاع يُسعد زوجك ويقودك للفوز بالآخرة.

المبحث الحادي عشر: الزواج يكسبك الأجور والحسنات

الزواج ليس مجرد عادة دنيوية، بل هو عبادة يكسب به العبد الأجر في كل صغيرة وكبيرة.

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أناسًا من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ».

قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟

قال: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»(١)

أيتها الفتاة، انظري كيف جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حتى العلاقة الخاصة بين الزوجين عبادة يؤجران عليها! فكيف بما دونها من طاعة، ورعاية، وقيام بحقوق؟

---

(١) رواه مسلم (١٠٠٦).

فالزواج طريق إلى الحسنات المتضاعفة، إذ فيه إعفاف النفس، وإعفاف الزوج، وتربية النسل، وبناء أسرة مسلمة.

واعلمي أن كل لحظة طاعة، وكل بسمة ود، وكل خدمة في بيت الزوجية، تُكتب لك في ميزان حسناتك إذا صلحت النية.

فلا تظني أن العبادة فقط في المسجد، بل بيت الزوجية ميدان واسع للطاعات.

الفصل الثاني: طاعة الزوج

إنّ من أعظم الحقوق التي أوجبها الشرع على المرأة: طاعة زوجها بالمعروف، فهي ميثاق غليظ، وعهد وثيق، يقوم عليه بناء الأسرة واستقرارها.

وقد جاءت نصـوص الوحي ببيان هذا الحق، حتى جعلت طاعته قُربة وتركها إثمًا عظيمًا.

وليس المقصـود بالطاعة أن تكون الزوجة عبدةً لزوجها، بل أن تكون مُطيعة له في المعروف، قائمة بما أوجب الله عليها من حقّه، محافظة على حدود الله في ذلك.

ولما كان الأمر بهذه المنزلة، فقد عقدت الشـريعة لهذا الباب أحكامًا مفصّـلة، ليعلم كل مؤمنة أنها بطاعتها لزوجها تبتغي وجه الله ورضوانه.

ويشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: وجوب الطاعة في غير معصية.

المبحث الثاني: تقديم طاعته على غيره.

المبحث الثالث: حرمة امتناعها عن فراشه.

المبحث الرابع: عدم الخروج إلا بإذنه.

المبحث الخامس: عدم إدخال أحد بيته إلا برضاه.

المبحث الأول: وجوب الطاعة في غير معصية

أيتها الزوجة المسلمة، اعلمي أنّ طاعة الزوج في المعروف فريضة، لا يجوز لك الإخلال بها، وهي طاعة في طاعة الله، وليست في معصيته.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»(١)

تدل هذه الأحاديث على أنّ طاعة الزوج محكومة بشرط أساسي، وهو أن تكون في غير معصية، فإن أمرك بما فيه سخط الله فلا طاعة له عليك، لأن الطاعة حينها لا تجوز لمخلوق.

لكن ما سوى ذلك من شؤون الحياة اليومية، كتنظيم البيت، وشؤون الأسرة، ونظام المعاشرة، فهو مما يجب عليك طاعته فيه.

ولا شك أن هذه الطاعة تحفظ البيت من الفوضى، وتُكسبك رضا الله أولًا، ورضا الزوج ثانيًا، فيستقيم بذلك عود الحياة الزوجية ويزول عنها كثير من النزاع.

المبحث الثاني: تقديم طاعته على غيره

أيتها المؤمنة، لا يخفى عليك أنّ الزوج بعد عقد النكاح يصبح أحق الناس بك، وطاعته مقدمة على سائر الناس بعد والديك في المعروف.

(١) رواه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠).

عن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما جاءت معاذة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسأله عن حق الزوج على زوجته قال: «لا تُؤَدِّي المرأةُ حَقَّ رَبِّها حتّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوجِها»(١)

اشتمل هذا الحديث على بيان عظيم مكانة الزوج في حياة زوجته، حتى جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حقوقه من أعظم الحقوق بعد حق الله، وقرنها بعبادتها لربها.

وهذا يدل على أنّ طاعته ليست شأنًا اجتماعيًا فحسب، بل عبادة تُثاب عليها المرأة.

فكوني – رعاك الله – حريصة على أن لا تقدمي رغبة أحد من الناس على رغبة زوجك ما دامت في المعروف، فإن حقه أعظم، ومنزلة طاعته أرفع.

المبحث الثالث: حرمة امتناعها عن فراشه

أيتها الزوجة، من أعظم ما أوجبه الشرع عليك بعد الزواج أن تجيبي زوجك إذا دعاك إلى فراشه، فإن الامتناع عن ذلك كبيرة من الكبائر.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»(٢)

هذا الحديث الجليل يبين خطورة امتناع الزوجة عن فراش زوجها بغير عذر شرعي، وأنها معرضة اللعن من الملائكة حتى تصبح، لما في ذلك من تفويت الحق العظيم على الزوج، وفتح باب الفتنة عليه وعلى نفسها.

---

(١) رواه أحمد (١٩٠٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٩٣٩).

(٢) رواه البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (١٤٣٦).

فلتعلم الزوجة المؤمنة أن الاستجابة لزوجها في هذا الباب عبادة وديانة، وأنها سبب للمودة وحفظ العشرة، كما أن التفريط فيه سبب لسخط الله وسخط الملائكة.

المبحث الرابع: عدم الخروج إلا بإذنه

أيتها المؤمنة، من تمام الطاعة ألا تخرجي من بيت زوجك إلا بإذنه، فالبيت حرمته عظيمة، والزوج مؤتمن عليك، وخروجك بغير إذنه خيانة للعهد.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةُ أَحَدِكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا يَمْنَعْهَا»(١)

دل هذا الحديث على أن الأصل بقاء المرأة في بيتها، وأن خروجها لا يكون إلا بإذن زوجها، إلا فيما فيه ضرر محقق ومرخص فيه شرعا.

وإذا كان الشارع قد جعل للزوج حق المنع حتى في أمر مشروع – كالصلاة في المسجد – فكيف بسائر الخروج الذي يفتح أبواب الفتنة؟!

فلا تستهيني أيتها المرأة بهذا الحق، فطاعتك في لزوم البيت وصون نفسك سبب لطمأنينة قلب زوجك وحفظ شرفك.

المبحث الخامس: عدم إدخال أحد بيته إلا برضاه

أيتها المرأة، من تمام الطاعة ألا تدخلي بيت زوجك أحدًا إلا برضاه، فذلك من صميم حقوقه، ومن تمام صيانته لبيته وأهله.

(١) رواه البخاري (٩٠٠)، ومسلم (٤٤٢).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**»(١)

يقرر هذا الحديث أصلًا عظيمًا، وهو أن بيت الزوج ملك له، فلا يجوز أن يُفتح بابه إلا بإذنه، حتى لو كان الداخل قريبًا أو صديقة. و

ذلك لما يترتب على مخالفة هذا من مفاسد عظيمة، كدخول من لا يرضاه، أو اطلاع الغرباء على خصوصيات البيت.

فكوني أيتها الزوجة حافظة لحدود الله، مؤدية لحق زوجك، حتى تكوني زوجة صالحة يرضى الله عنها ويرضى زوجها.

(١) رواه البخاري (٤٨٩٩)، ومسلم (١٠٢٦).

الفصل الثالث: المعاشرة بالمعروف

لقد أمر الله عز وجل الزوجة أن تعاشر زوجها بالمعروف، وأن تحسن صحبته، وتعامله بالحسنى، فإن الحياة الزوجية مبناها على الصبر وحسن الخلق والستر، لا على الخصام والجدال.

والمعاشرة بالمعروف تشمل القول والفعل، فتكون الزوجة محسنةً إلى زوجها في كلامها وفعالها، صابرةً على ما تكره، ساعية في إدخال السرور عليه، ساترةً لعيوبه، حافظةً لأسراره.

ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: حسن الخلق معه.

المبحث الثاني: الصبر على ما تكره منه.

المبحث الثالث: التجمّل له والتودد.

المبحث الرابع: ستر عيوبه وحفظ سره.

المبحث الأول: حسن الخلق معه

أيتها المؤمنة، اعلمي أن حسن الخلق مع الزوج أساس عظيم في دوام المودة، وهو زينة المرأة وسبب محبتها في قلبه.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»(١)

هذا الحديث الشريف أصل في معاملة الزوجة بالخلق الحسن، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جعل معيار الخيرية بحسن معاملة الأهل.

فإذا كان الزوج مأمورًا بالإحسان، فأنتِ يا أيتها الزوجة مأمورة بالمعاملة بالمعروف أيضًا، والخلق الحسن منك يُذهب هموم الزوج، ويُؤلِّف قلبه، ويجعل بيتك جنّة في الدنيا.

فتخلقي مع زوجك باللين، وابتسمي في وجهه، وأحسني صحبته، يكن لك عند الله أجر عظيم.

المبحث الثاني: الصبر على ما تكره منه

أيتها المسلمة، لا يخلو بيت من اختلاف أو تقصير، ولكن الصبر على ذلك سبيل العاقلات.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»(٢)

(١) رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣٢٦٦).

(٢) رواه مسلم (١٤٦٩).

في هذا الحديث يرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى قاعدة عظيمة في الحياة الزوجية، وهي ألا يُبغض أحد الزوجين الآخر بسبب خصلة واحدة، بل ينظر إلى الخصال الأخرى.

وأنتِ أيتها الزوجة، إذا وجدت من زوجك ما تكرهين، فاصبري واحتسبي، وانظري إلى محاسنه، فإن ذلك أدعى لدوام الألفة.

وتذكري أن الصبر عبادة، وأن بقاء البيوت قائم على التحمل والتغاضي، لا على التدقيق في العيوب.

المبحث الثالث: التجمّل له والتودد

أيتها الزوجة من أعظم وسائل كسب قلب الزوج أن تتجمل له وتتودد، فهذا مما يرضيه ويجعل عينه تقر بك.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال له: «**فَهَلا تزوجت جَارِيَةً تُلاعِبُها وَتُلاعِبُكَ، وَتُضاحِكُها وَتُضاحِكُكَ؟**»(١)

هذا الحديث يرشد إلى أن التودد والملاعبة من أسباب الأنس والمودة بين الزوجين.

(١) رواه البخاري (٥٣٦٧)، ومسلم (٧١٥).

فإذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد أرشد جابرًا لذلك، فأنت أيتها الزوجة لزاما بأن تكوني بهذا الوصف متوددة لزوجك، متجملة له، تدخلين السرور على قلبه بوجه طلق وكلمة لينة.

فإياك أن تُهملي هذا الباب، فهو من أعظم أبواب بقاء المودة.

المبحث الرابع: ستر عيوبه وحفظ سره

أيتها الزوجة، من أعظم حقوق زوجك عليك أن تحفظي سره، وتستري عيوبه، فإن إفشاء أسرار الزوجين من كبائر الذنوب.

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا**»(١)

هذا الحديث يبين خطورة كشف أسرار الزوجية، فهي أمانة يجب أن تُصان.

وأنتِ أيتها الزوجة، إذا علمتِ عيبًا في زوجك أو سرًا من أسرار بيته، فلا تفشيه، فإن ذلك من أعظم أسباب الشقاق، ومن أعظم ما يسخط الله.

بل اجعلي بيتك حصنًا لسره، ومأمنًا لعيوبه، يكن لك عند الله أجر، ويزداد حب زوجك لك.

(١) رواه مسلم (١٤٣٧).

الفصل الرابع: الزينة والجمال للزوج

الزينة نعمة عظيمة امتن الله بها على عباده، وجعلها من دواعي السـرور والألفة بين الزوجين.

والمرأة مأمورة أن تتزين لزوجها زينة مشروعة تحفظ المودة وتديم الألفة.

ويشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: التزين المشروع للزوج.

المبحث الثاني: الاعتناء بالنظافة واللباس.

المبحث الثالث: حدود الزينة أمام غير الزوج.

المبحث الرابع: أثر الزينة على دوام الألفة.

المبحث الخامس: اجتناب الإسراف في الزينة والتشبه بالكافرات

المبحث الأول: التزين المشروع للزوج

أيتها الزوجة، اعلمي أن تزينك لزوجك عبادة وقربة، وليس مجرد عادة دنيوية.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»(١)

هذه الكلمة الجامعة تبين أن التزين والتجمل مما يحبه الله، إذا كان في حدود الشرع.

وأنت مأمورة أن تظهري لزوجك أجمل هيئة، فإن ذلك أدعى لإعفافه وحفظه، وأبعد له عن الحرام.

فالصالحات يتجملن لأزواجهن، ويرين ذلك من تمام حق الزوج، بل من العبادة.

فاحرصي أن تكون زينتك لزوجك طاعة تتقربين بها إلى الله.

المبحث الثاني: الاعتناء بالنظافة واللباس

أيتها المؤمنة، لا يليق بك أن تهملي نظافتك، فإن الطيب والنظافة واللباس الحسن من تمام حسن العشرة.

ومن هذا الباب حديث «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» وقد تقدم.

هذا الحديث أصل في مثل هذه الأمور.

إن إهمال النظافة يُذهب المودة، ويكدر العشرة.

فأطيبي نفسك بالطيب، واعتني بشعرك ولباسك، وتجملي له بما يرضيه، يكن بيتك جنةً، ويعظم أجرك عند الله.

---

(١) رواه مسلم (٩١).

وأما الأدلة العامة في مثل ذلك وهي في حق الجميع قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر: ٤]

أمرٌ بتطهير الثياب، وهو يشمل النظافة الحسية والمعنوية، قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]

أي البسوا ما يستر العورة ويليق بالوقوف بين يدي الله، ومن باب أولى أن يتزين المرء لأهله.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»(١)

أي الطهارة والنظافة نصف الدين، لما لها من أثر في العبادات والمعاملات.

الاهتمام بالشَّعر والهيئة:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ»(٢)

أي ينظفه ويعتني به، وهذا دليل على العناية بالمظهر سواء في حق الرجل أو المرأة.

حق الزوجة في زينة زوجها والعكس.

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إِنِّي لَأَتَزَيَّنُ لِامْرَأَتِي كَمَا تَتَزَيَّنُ لِي، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَوْفِيَ كُلَّ حَقِّي الَّذِي لِي عَلَيْهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ كُلَّ حَقِّهَا الَّذِي لَهَا عَلَيَّ، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾» [البقرة: ٢٢٨].:

(١) رواه مسلم (٢٢٣).

(٢) رواه أبو داود (٤١٦٣) وصححه الألباني في «سنن أبي داود» (٤١٦٢).

المبحث الثالث: حدود الزينة أمام غير الزوج

أيتها الزوجة المؤمنة، اعلمي أن الزينة مشروعة مع الزوج، بل مأمورة بها لاستدامة الألفة والمودة بينكما كما تقدم، لكنها محرمة مع الأجانب لما يترتب عليها من الفتنة والفساد.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٣١].

فهذه الآية المحكمة بيّنت أن الزينة لا تُظهر إلا للزوج والمحارم ومن ذكر الله في الآية.

أما إظهارها أمام الأجانب فهو حرام بإجماع العلماء، لما فيه من إثارة الشهوة وفتح أبواب الفتنة.

لكن يستثنى من ذلك ما كان أمام النساء المؤمنات، بشرط ألا يكون فيه إسراف أو تشبّه بالكافرات أو كشف ما هو عورة بين النساء.

كما اشترط العلماء أن لا تكون هذه الزينة مظنّة للفخر والخيلاء، ولا سببًا في فتنة النساء بعضهن ببعض.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التمهيد (٦/ ٣٧٩): «أجمعوا على أن للمرأة أن تكشف وجهها ويديها عند النساء، وكذلك عند محارمها، وإنما الخلاف في غير ذلك».

فيا أيتها الزوجة، احرصي أن تجعلي زينتك الخاصة مقصورة على زوجك، فهو أحق الناس بها، ولا تجعليها مشاعة أمام غيره، فإن ذلك يجرّ الفساد.

ومع أخواتك من النساء، كوني متسترة محتشمة على وفق ما أمر الله.

فصيانة الزينة من الأجانب، وضبطها بالضوابط الشرعية مع النساء، هو من تمام الحياء والعفاف، ومن علامات كرامة المرأة المسلمة.

المبحث الرابع: أثر الزينة على دوام الألفة

أيتها الزوجة، الزينة ليست مظهرًا فقط، بل هي سبب من أسباب دوام المودة، وحفظ قلب الزوج من الانصراف.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**»(١)

في هذا الحديث إشارة إلى أن المرأة الصالحة خير متاع الدنيا، وصلاحها يشمل عبادتها لربها، وحسن تبعلها لزوجها، وجمالها في عينه.

فالزينة باب عظيم لكسب قلب الزوج، فإذا اقترنت بالصلاح والدين، كانت المرأة قرة عين لزوجها في الدنيا، وسببًا لدخول الجنة في الآخرة.

المبحث الخامس: اجتناب الإسراف في الزينة والتشبه بالكافرات

أيتها المرأة المسلمة، إن الزينة نعمة من الله عز وجل، أذن لك بها لتسعدي بها مع زوجك، وتزدادي قربًا منه، وتكسبي قلبه بالمودّة والرحمة، لكنها لا تكون طاعةً ولا بركةً

(١) رواه مسلم (١٤٦٨).

إلا إذا كانت على هدي الشرع، بعيدة عن الإسراف والتبذير، ومنزّهة عن التشبه بالكافرات والفاجرات.

أيتها الزوجة الصالحة، قد قال الله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الإسراء: ٢٦-٢٧].

فالمبالغة في شراء أدوات الزينة، والتكلف في الكماليات الباهظة، وإهدار أموال الزوج في ما لا حاجة له، كل ذلك من التبذير الذي يسخط الله ويضيّع المال.

وجاء التحذير أيضًا من التشبه بأهل الكفر والفسق، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١) والتشبه لا يكون في الاعتقاد فقط، بل في المظهر والهيئة أيضًا، فليس من شأن المسلمة أن تتبع موضات الكاسيات العاريات، أو تقلد طرق تزيّن نساء الفجور، بل تكون زينتها عفيفة، خالصة لزوجها، وفي حدود ما أذن الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فالزينة المشروعة هي التي تُدخل السرور على الزوج وتقرّب القلوب، أما الزينة الممنوعة فهي التي تفتح أبواب الفتنة، وتضيّع المال، وتشبّه المسلمة بغير الصالحات.

فاحفظي نعمة الزينة عن الغلو والتبذير، وكوني قدوة في عفاف مظهرك وحسن هيئتك، تنالي رضا الله أولًا، ثم رضا زوجك دومًا.

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١) وصححه الألباني في «سنن أبي داود» (٤٠٣٠).

الفصل الخامس: الخدمة ورعاية البيت

البيت مملكة المرأة، وخدمتها فيه ورعايتها له من أعظم القربات، وهي سبب في دوام المودة وراحة الزوج، بل هي من علامات صلاح المرأة.

ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: خدمة الزوج في البيت.

المبحث الثاني: حسن ترتيب البيت بما يرضيه.

المبحث الثالث: تربية الأولاد ورعايتهم.

المبحث الرابع: حفظ الأولاد في غيبته.

المبحث الأول: خدمة الزوج في البيت

أيتها المؤمنة، اعلمي أن خدمتك لزوجك في بيته عبادة تثابين عليها، وشرف تقتدين فيه بأمهات المؤمنين والصالحات من النساء.

عن أسماء بنت أبي بكر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت: «تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ وَلَا شَيْءٍ، غَيْرَ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَكْفِيهِ مَؤُنَتَهُ، وَأَدُقُّ النَّوَى لِنَاضِحِهِ، وَأَسْقِي الْمَاءَ، وَأَعْجِنُ، وَأَخْبُزُ...»(١)

دلت هذه الرواية على أن خدمة الزوج في بيته من عمل الصالحات، فقد كانت أسماء بنت أبي بكر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- بنت الصديق، تقوم بخدمة زوجها الزبير، ولم ترَ في ذلك غضاضة، بل عدته من القربات. فالمرأة حين تخدم بيتها وزوجها إنما تحفظ بيتها وتستجلب رضا ربها.

المبحث الثاني: حسن ترتيب البيت بما يرضيه

أيتها الفتاة، اعلمي أن حسن ترتيب البيت من علامات اهتمامك بزوجك، وإظهار الاحترام له.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»(٢)

(١) رواه البخاري (٥٢٢٤)، ومسلم (٢١٨٢).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٤٣٨٦)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١١١٣)

هذا الحديث أصل في إتقان العمل، ويدخل فيه ترتيب البيت وتجميله بما يرضي الزوج.

فإهمال البيت فوضىً، والبيت المرتب سرور للنفس، ودليل على حسن قيام الزوجة بحقوقها، والمرأة التي ترتب بيتها وتجعله واحة راحة لزوجها، تكتب في صحائف المحسنات.

المبحث الثالث: تربية الأولاد ورعايتهم

أيتها المرأة المسلمة، اعلمي أن أعظم وظيفة بعد عبادة الله هي رعاية الأولاد وتربيتهم على الدين.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ**»(١)

هذا الحديث نص صريح في أن المرأة مسؤولة عن بيتها وأولادها، والرعاية هنا تعني التربية الصالحة، والتعليم، وحفظ الفطرة من الانحراف.

فإهمال الأولاد خيانة للأمانة، ورعايتهم عبادة تؤجرين عليها.

والزوجة الصالحة لا تترك أولادها نهبًا للشارع أو وسائل الفساد، بل تسهر عليهم دينًا وخلقًا.

(١) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

المبحث الرابع: حفظ الأولاد في غيبته

أيتها الزوجة، من أعظم حقوق زوجك أن تحفظي أولاده في حضوره وغيابه، فهم أمانة في عنقك، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨﴾ [سورة المؤمنون:٨].

هذه الآية تشمل كل أمانة، ومن أعظمها الأولاد.

فإذا خرج الزوج لطلب الرزق أو سافر، فأنت الحافظة لأولاده، المؤتمنة عليهم في دينهم وأخلاقهم.

فليكن بيتك حصنًا لهم، ولا تفرطي في الأمانة، فإن الأولاد ثمرة الحياة، وأعظم زينة الدنيا.

الفصل السادس: حفظ مال الزوج وعرضه

من أعظم الأمانات التي تُحمَّلها الزوجة: حفظ مال زوجها وصيانة عرضه، فهي مؤتمنة على ذلك في حضوره وغيابه، وقد أثنى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على المرأة التي تقوم بهذا الحق.

ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأمانة في المال وصيانته من الضياع.

المبحث الثاني: حفظ نفسها من الخيانة.

المبحث الثالث: اجتناب أسباب الفتنة.

المبحث الأول: الأمانة في المال وصيانته من الضياع

أيتها المرأة المسلمة، إن مال الزوج أمانة بين يديك، وما أُذن لك في إنفاقه أو التصرف فيه فافعليه، وما لم يُؤذن لك فلا يحل لك التعدي فيه.

أيتها الزوجة، ليس المطلوب منك فقط أن تمتنعي عن أكل ماله بالباطل، بل أن تحفظيه من الضياع والإسراف، وأن تكوني حريصة على تنميته.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ النِّسَاءِ امْرَأَةٌ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا سَرَّتْكَ، وَإِذَا أَمَرْتَهَا أَطَاعَتْكَ، وَإِذَا غِبْتَ عَنْهَا حَفِظَتْكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكَ**»(١)

هذا الحديث أصل في بيان صفة الزوجة الصالحة، فهي الحافظة لمال زوجها في غيبته.

وصيانة المال ليست في منعه فقط، بل في حسن التدبير، والبعد عن التبذير.

فالمرأة الرشيدة هي التي تزيد البيت خيرًا بحسن رعايتها.

هذا وإن وأمانتها هذه مع زوجها هي من صميم طاعته وقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ**»(٢)

---

(١) رواه الطيالسي (ص ٣٠٦ رقم ٢٣٢٥) وهو في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٤٥٤)

(٢) رواه أحمد (١٦٦١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٠).

هذا الحديث بيَّن أن من كمال طاعة الزوج حفظ ماله، لأن التعدي عليه خيانة، ولأن المرأة إنما هي شريكة في حفظ البيت لا في تبديد الأموال.

فالأمانة في المال سبب للفوز بالجنة، وضياعها سبب للخيانة والعقوبة.

المبحث الثاني: حفظ نفسها من الخيانة

أيتها المرأة المسلمة، إن من أعظم ما يجب عليك حفظُ نفسك وصيانةُ عرضك، فالزوج قد ائتمنك على شرفه، وجعلك حرمه وموضع ستره، فلا يجوز لك أن تخونيه لا بنظرةٍ ولا بكلمةٍ ولا بفعلٍ.

أيتها الزوجة، إن خيانة المرأة لزوجها من أعظم الكبائر، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**اثْنَانِ لَا تَتَجَاوَزُ صَلَاتُهُمَا رُؤُوسَهُمَا: عَبْدٌ آبِقٌ مِنْ مَوَالِيهِ حَتَّى يَرْجِعَ، وَامْرَأَةٌ عَصَتْ زَوْجَهَا حَتَّى تَرْجِعَ**»(١)

فهذا الوعيد الشديد إنما هو لخيانتها وعصيانها لزوجها.

وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ النِّسَاءِ امْرَأَةٌ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا سَرَّتْكَ، وَإِذَا أَمَرْتَهَا أَطَاعَتْكَ، وَإِذَا غِبْتَ عَنْهَا حَفِظَتْكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكَ**»(٢)

فهذا الحديث أصل في بيان أن من كمال صلاحها أن تحفظ نفسها في غيبة زوجها.

(١) رواه الحاكم (٢/ ١٨٩) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٦).

(٢) رواه الطيالسي (ص ٣٠٦ رقم ٢٣٢٥) وهو في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٤٥٤).

أيتها المؤمنة، إن صيانة النفس لا تكون فقط بترك الفواحش، بل كذلك بترك أسباب الخيانة؛ فلا تكلمي رجلًا أجنبيًّا بريبة، ولا تخرجي متبرجة، ولا تفتحي على نفسك أبواب الفتنة، فالنظر سهم مسموم، والكلمة الزائغة قد تجرّ إلى الهاوية.

وإن المرأة إذا حفظت نفسها عن الخيانة كانت مطمئنة القلب، مرتاحة الضمير، قد أدّت أمانة الزوجية على أكمل وجه، ولها عند الله أعظم الأجر.

أما إذا خانت فقد باعت دينها ودنياها، وعرضت نفسها لغضب الله وعقابه.

فكوني – أيتها الزوجة الصالحة – حافظة لنفسك، أمينة على عرض زوجك، صادقة في غيبته وحضرته، لتكوني من خير نساء الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث: اجتناب أسباب الفتنة

أيتها المؤمنة، ليس المطلوب فقط أن تحفظي نفسك، بل أن تجتنبي كل ما يثير الفتنة ويوقع في الشبهات، من خلوة أو تبرج الحديث مع الرجال الأجانب.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: «**الْحَمْوُ الْمَوْتُ**»(١)

دل هذا الحديث على خطورة التساهل مع أقارب الزوج من غير المحارم (كالإخوة وأبناء العم.....الخ).

فسمى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذلك «**الموت**» لشدة خطورته، والزوجة المؤمنة تغلق أبواب الفتنة، وتحفظ نفسها وزوجها وأهلها من أسباب الشر والريبة.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

الفصل السابع: شكر الزوج والاعتراف بفضله

من أوجب حقوق الزوج على زوجته أن تشكر له إحسانه، وتعترف بفضله، ولا تكفر العشير.

فالشكر يزيد المودة، ويثبّت المعروف، ويُبقي العلاقة قائمة على الوفاء.

ويشتمل هذا الفصل على سبعة مباحث:

المبحث الأول: وجوب شكره بالقول والعمل.

المبحث الثاني: الاعتراف بفضله.

المبحث الثالث: الحذر من كفران العشير.

المبحث الرابع: الرضا بما قسم الله معه.

المبحث الخامس: اعتبار النفقة عبادة له.

المبحث السادس: عدم إثقاله بالطلبات.

المبحث السابع: الاقتصاد والبعد عن التبذير

المبحث الأول: وجوب شكره بالقول والعمل

أيتها المؤمنة، زوجك يبذل ماله ووقته وجهده في سبيل راحتك، فكوني شاكرة له بالقول الحسن والعمل الطيب.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى امْرَأَةٍ لَا تَشْكُرُ لِزَوْجِهَا، وَهِيَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ»(١)

هذا الحديث يبين أن ترك شكر الزوج سبب لسخط الله، فالمرأة العاقلة تشكر زوجها بلسانها وتقر بجميله، فإن الكلمة الطيبة تحفظ الود، وتزيد الألفة، وتزرع في قلبه حبًّا وبقاءً.

المبحث الثاني: الاعتراف بفضله

أيتها الزوجة، اعترفي بفضل زوجك عليك، فهو سترٌ لك بعد أهلك، وقد حمّله الله القِوامة عليك.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»(٢)

الاعتراف بالفضل عبادة، والزوج أولى الناس به، لأنه أقرب الناس إليك، ومن لم تعترف بفضل زوجها فهي جاحدة للنعمة، والجاحد لا يُبارك له في حياته.

---

(١) رواه النسائي (٩٠٨٠)، وحسنه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١/ ٥٨١).

(٢) رواه أحمد (٢٣٦٩٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧١٩).

المبحث الثالث: الحذر من كفران العشير

أيتها الزوجة المؤمنة، إياك أن تكفري عشيرك، أو تجحدي معروفه، فإن هذا أعظم أسباب دخول النساء النار.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ»(١)

هذه النصيحة النبوية صريحة، أن من أخطر ما يوقع النساء في النار: كفران العشير، أي جحد الإحسان والفضل.

فاحذري أن تهدمي حياتك الزوجية بجحودك، وكوني وفية شاكرة، تنالي رضا الله ورضا زوجك.

المبحث الرابع: الرضا بما قسم الله معه

أيتها الزوجة، من تمام شكر الزوج أن ترضي بما قسم الله لك معه من رزق، فلا تستثقلي قلة ذات يده، ولا تكثري الطلبات التي تُعجزه.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ»(٢)

المرأة الراضية بما قسم الله لها، تعيش مطمئنة، هانئة، بعيدة عن المقارنات المذمومة.

---

(١) رواه البخاري (٢٩)، ومسلم (٩٠٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٣).

فالرضا يجلب السكينة، ويُرضي الزوج، ويبارك الله به في القليل فيصبح كثيرًا.

المبحث الخامس: اعتبار النفقة عبادة له

أيتها الزوجة، اعلمي أن النفقة التي ينفقها زوجك عليك وعلى أولاده عبادة عظيمة، فأنت مأجورة بشكره والدعاء له.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»(١)

نفقة الزوج على أهله من أعظم القربات، والزوجة التي تدرك هذا تُعينه بالدعاء والثناء، وتعتبر طعامها ولباسها من بركات الطاعة، فلا تستقل ذلك ولا تجحد.

المبحث السادس: عدم إثقاله بالطلبات

أيتها الزوجة، لا تثقلي زوجك بكثرة الطلبات أو المقارنات، فذلك سبب لتنغيص العيش، وتكدير صفو الحياة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

هذه الآية تربي المؤمن على القناعة، فإياك أن تنظري لغيرك فتزدري ما عند زوجك.

فالرضا يحفظ المودة، ويجعل القليل مباركًا، أما الطمع وكثرة الطلبات فهي باب للشقاء والخصام.

---

(١) رواه مسلم (٩٩٥).

المبحث السابع: الاقتصاد والبعد عن التبذير

أيتها الزوجة المؤمنة، كوني حكيمة في نفقة بيتك، فلا تبذّري ولا تسرفي، فالتبذير سبب لذهاب البركة، وهو من عمل الشيطان.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٧].

المرأة الصالحة تحفظ مال زوجها وتقتصد في نفقته، فلا تشتري إلا ما تحتاج، ولا تخرج المال في غير وجهه.

فبهذا تعين زوجها على طاعة الله، ويبارك الله في رزقهم.

الفصل الثامن: إعانة الزوج على الطاعة

من أعظم حقوق الزوج على زوجته أن تكون له عونًا على طاعة الله، تذكّره إذا غفل، وتعينه إذا ضعف، وتدعوا له في السر والعلن.

فهي شريكة دينه قبل أن تكون شريكة دنياه.

ويشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: تذكيره بالله عند الغفلة.

المبحث الثاني: إعانته على الصلاة والطاعة.

المبحث الثالث: الدعاء له بظهر الغيب.

المبحث الرابع: نصحه برفق وحكمة.

المبحث الخامس: ستر الزوج وعدم إفشاء زلته.

المبحث الأول: تذكيره بالله عند الغفلة

أيتها الزوجة المؤمنة، إن زوجك بشر، يعتريه ما يعتري سائر الناس من الغفلة وضعف العزيمة، وقد وكلك الله أمانة أن تكوني له عونًا على الثبات، وسببًا لتجديد الإيمان في قلبه.

فكم من كلمة صادقة من زوجة صالحة أحيت قلبًا، وثبّتت نفسًا، ودفعت إلى الطاعة.

قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥].

دلت الآية أن التذكير نافع للمؤمنين، يوقظ قلوبهم، ويجدد صلتهم بالله، والزوج أولى الناس بذكرك ونصحك، فإنك حين تذكرينه بالله تُثبّتينه على طاعته، وتُعينينه على القرب من ربه، وتجعلين بيتك عامرًا بالخير والسكينة.

وقال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٢].

فهذه الآية تأمر بالتعاون على الطاعات، والزوجة أعظم من يعاون زوجها على البر، فهي قريبة منه، تعرف مواضع ضعفه، وتستطيع أن توجهه بلطف وحكمة.

فإن ذكّرته بالصلاة عند غفلته، أو بالصيام عند فتوره، أو بالصدقة عند بُخله، كانت شريكة له في الأجر.

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

فأنتِ يا أيتها الزوجة، وليةٌ لزوجك في الخير، كما أنه وليٌّ لك، ومن أول معاني الولاية: النصيحة والإرشاد.

فإذا ذكّرتيه عند الغفلة، ووقفتِ إلى جواره عند الضعف، كنتِ من القائمات بأمر الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أيتها الزوجة، اجعلي بيتك محرابًا للذكر، وميدانًا للتواصي بالحق، وأيقني أن كل نصيحة صادقة تقدمينها لزوجك هي زاد لك يوم القيامة، وسبب لتثبيت المودة بينكما، فإن القلوب التي اجتمعت على طاعة الله لا يفرّقها شيء.

المبحث الثالث: الدعاء له بظهر الغيب

أيتها الزوجة، من أوفى صور المحبة أن تدعي لزوجك بظهر الغيب، فإن الدعاء له بركة عليك وعليه.

عن أم الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**دَعْوَةُ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ**»(١)

إذا كان الدعاء للمسلم مستجابًا، فكيف إذا كان لزوجك الذي هو أقرب الناس إليك؟ بدعائك له تنالين أجرًا مضاعفًا، ويجعل الله حياتكما مليئة بالبركة.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٢).

المبحث الرابع: نصحه برفق وحكمة

أيتها المؤمنة، قد يخطئ زوجك أو يقصّر، فكوني ناصحة له بالحكمة واللين، لا بالفظاظة والجدال.

قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

نصح الزوج باللين من أعظم أسباب قبوله، والمرأة التي تراعي لطف الكلمة تحافظ على مودة زوجها، وتجمع بين أجر النصيحة وأجر حسن العشرة.

المبحث الخامس: ستر الزوج وعدم إفشاء زلته

أيتها المؤمنة، من أعظم حقوق الزوج عليك أن تستري عيوبه وأخطاءه، وألا تفضحيه بين الناس، فإن الستر على المسلم عبادة وقربة، فكيف إذا كان هذا المسلم هو شريك حياتك وأقرب الناس إليك؟

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١)

دلت هذه البشارة العظيمة على أن الستر سبب لستر الله يوم القيامة، والزوجة التي تصون سرّ زوجها ولا تفضحه تفوز بستر الله في الدنيا والآخرة.

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١)

وهذا الوعيد والوعد عام في كل مسلم، وهو في الزوجة مع زوجها آكد وألزم.

أيتها الزوجة الصالحة، إياك أن تجعلي مجالس النساء أو وسائل التواصل ميدانًا لذكر عيوب زوجك أو فضح أخطائه، فإن هذا خيانة للعشرة ونقض للميثاق الغليظ.

واعلمي أن ستره لا يعني الرضا بالمنكر، بل يعني نصحه سرًّا وحفظ مكانته علنًا.

فمن صبرت وسترت أجرها الله، وألقى في قلب زوجها محبة وحياء يمنعه من تكرار خطئه.

(١) رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).

الفصل التاسع: الكلام والحديث مع الزوج

الكلمة الطيبة من الزوجة لزوجها غذاء للروح ودواء للقلب، وهي سبب لدوام المودة والرحمة.

والزوجة العاقلة تحرص أن يكون كلامها لينًا رقيقًا، بعيدًا عن الغلظة والجفاء، فإن الكلمة قد ترفع أو تهدم، وتقرّب أو تبعد.

ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: خفض الصوت معه.

المبحث الثاني: اجتناب الجدال وكثرة اللوم.

المبحث الثالث: أثر الكلمة الطيبة في قلب الزوج.

المبحث الرابع: تجنّب الكلمات الجارحة.

المبحث الأول: خفض الصوت معه

أيتها الزوجة المؤمنة، من كمال الأدب مع الزوج أن تخفضي صوتك عند محادثته، وأن تجتنبي رفع الصوت إلا لضرورة وحاجة ملحّة.

فإن ارتفاع الصوت على الزوج أمارة جفاء، ودليل على قلة الاحترام، بينما خفضه يورث المودة في القلب، ويزيد المحبة في البيت، ويجعل الزوج يراكِ في موضع تقدير وهيبة.

قال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

اشتملت هذه الآية على وجوب حسن القول مع جميع الناس، فالكلمة الطيبة خلقٌ عام لا يُستثنى منه أحد، والزوج أولى الناس بحسن خطابك؛ لأنه أقربهم إليك وأحقهم بمودتك.

فإن كنتِ مأمورة أن تخاطبي الغرباء بالحُسن، فزوجك أحق أن يسمع منك القول الجميل والصوت الخفيض.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»(١)

دل الحديث على أن الرفق زينة القول والفعل، وأن غياب الرفق شينٌ وعيب.

ومن صور الرفق في الحياة الزوجية: أن تخاطب المرأة زوجها بلطف وصوت منخفض، بعيد عن الغلظة والجفاء.

(١) رواه مسلم (٢٥٩٤).

فيا أيتها الزوجة الكريمة، اجعلي كلامك مع زوجك طيبًا رقيقًا، فإن الكلمة إذا خرجت لينة هادئة دخلت قلبه كالنسيم العليل، وإذا خرجت غليظة عالية كسرت قلبه وأفسدت الود.

وتذكري أن الله أمرك أن تقولي للناس حسنًا، فكيف بزوجك الذي هو أخص الناس بك وأحقهم بحسن خطابك؟

المبحث الثاني: اجتناب الجدال وكثرة اللوم

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة فصلت: ٣٤].

أيتها الزوجة المؤمنة، إن من الحكمة أن تجتنبي الجدال والمراء مع زوجك، وأن تتركي كثرة اللوم والمعاتبة؛ فإنها تُكدِّر صفو العشرة، وتضعف المودة، وتزرع النفور بدل الرحمة.

واعلمي أن البيت الذي يكثر فيه الجدال سرعان ما يخبو فيه نور الألفة، وتغيب عنه السكينة.

ولقد رغّب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في ترك المراء، حتى ولو كان المرء محقًّا في حجته، لما يجرّه الجدال من أضرار على القلوب، وما يسبّبه من جفوة في النفوس، ولو كان في الظاهر من باب بيان الحق.

فإذا كان هذا في عموم الناس، فكيف في الحياة الزوجية التي تقوم على السكينة والرحمة؟

فعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا»(١)

فانظري أيتها الزوجة الكريمة كيف جعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ترك الجدال سببًا للفوز ببيت في الجنة، وهذا دليل على عظم خطره وفساد عاقبته.

فإذا كان ترك المراء مع الغرباء سببًا لدخول الجنة، فتركه مع الزوج أعظم أجرًا وأجمل أثرًا، إذ فيه صيانة للحياة الزوجية من النزاع، وزيادة في المودة والوفاق، وجلب لرضا الله تعالى.

واعلمي أن كثرة الجدال قد تجرّ في بعض الأحيان إلى مفاسد عظيمة، تصل إلى الطلاق، فتخسر المرأة زوجها وبيتها لأجل كلمة أو إصرار على رأي، في حين أنها لو تغافلت وربحت مودته لحُفظ لها بيتها وسعادتها.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»(٢)

فهذا الحديث أصل عظيم في باب الأخلاق، يبيّن أن خيار الناس هم أهل الحلم واللين والرفق، لا أهل اللجاج والخصام.

والزوجة المؤمنة إن التزمت بحسن الخلق مع زوجها، كانت عند الله من خيار النساء، وربحت قلب زوجها، وحفظت بيتها من التنافر والشقاق.

(١) رواه أبو داود (٤٨٠٠)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٨٠٠).
(٢) رواه البخاري (٣٥٥٩) ومسلم (٢٣٢١).

ولا تنسي أن التغافل عن الزلات من شيم الأذكياء، ومن أخص صفات المحافظين على الود؛ فمن أرادت دوام محبتها، فلتجعل حلمها أوسع من خطأ زوجها، ولتجعل صبرها سترًا يقي بيتها من الانهيار.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»(١)

فانظري كيف جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الكلمة الطيبة عبادة وقربة، فهي تسعد القلوب وتزيل الوحشة، وتُطفئ نار الغضب، وتزرع الحب والمودة.

والزوجة العاقلة تعلم أن الكلمة الرقيقة اللينة تصلح ما لا يصلحه كثرة الجدال، وتقرّب القلوب أكثر من طول النقاش والعتاب.

فالكلمة الحنانية مفتاح القلوب، وسرّ دوام الألفة في البيوت.

أما الجدال فقد يُكسب المرأة كلمة، لكنه قد يُفقدها زوجًا، والعاقلة من تؤثر الود والسكينة على الانتصار لرأيٍ قد يجرّ إلى الفُرقة.

أيتها الزوجة، اعلمي أن كثرة الجدل سبب للشقاق، والنزاع الدائم يطفئ المودة.

عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ**»(٢)

دل الحديث أن الجدل من علامات الانحراف، فإذا دخل البيت صار سببًا لنفور الزوج، وهروب السكينة.

(١) رواه البخاري (٢٩٨٩) ومسلم (١٠٠٩).

(٢) رواه الترمذي (٣٢٥٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٣٣).

فالزوجة الحكيمة تجتنب الجدال، وتختار الكلمة الطيبة، وتجعل بيتها واحة سكون لا ساحة خصام.

المبحث الثالث: أثر الكلمة الطيبة في قلب الزوج

أيتها الزوجة المؤمنة، إن الكلمة الطيبة أعظم وسيلة لكسب قلب الزوج، فهي تفتح مغاليق صدره، وتزيل همّه وتعبه، وتجعل بيته جنة يأنس بها.

قد يعجز المال أحيانًا عن إدخال السرور على قلب الرجل، ولكن كلمة رقيقة منك قد تفعل ما لا يفعله الذهب والفضة.

لقد بيّن الله في كتابه أن الكلمة الطيبة عبادة تُرفع إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنها لا تضيع عنده، فهي تصعد كما يصعد العمل الصالح، فالكلمة التي تنبع من قلب مؤمن تصعد إلى الله نورًا وذكرًا، وتثمر أثرًا عظيمًا في الأرض.

قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

فهذه الآية تبين أن الكلمة الطيبة عملٌ صالحٌ يرفعه الله عنده، فكيف إذا كانت الكلمة بين الزوج وزوجته، تُنشر بها المودة، وتُبنى بها الأسرة، وتُحفظ بها البيوت؟! إن كلمة واحدة منكِ ترفعك عند الله، وتملأ قلب زوجك سرورًا، وتكتب لك أجرًا متضاعفًا.

وقد أمر الله نبيَّه موسى وأخاه هارون عليهما السلام أن يستخدما الكلمة اللينة حتى مع أعتى الناس طغيانًا وكفرًا، ألا وهو فرعون، فما أعظم أثر القول اللين في تليين القلوب!.

قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤].

فإذا كان القول اللين مأمورًا به لفرعون الجبار، فكيف بزوجك المسلم، الذي هو أحق الناس باللين منك؟! إن الزوج إذا سمع من زوجته الكلمة الرقيقة الهادئة، شعر بالعزة والراحة، ورأى أن بيته هو المرفأ الآمن وسط أمواج الحياة.

كما حثّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على ألا يحقر المسلم من المعروف شيئًا، حتى لو كان أمرًا يسيرًا مثل طلاقة الوجه، فكيف بالكلمة الطيبة التي تدخل السرور وتذهب الغضب؟

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُلْقِيَ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِقٍ**»(١)

فانظري أيتها الزوجة الكريمة، إذا كان مجرد الابتسامة في وجه الناس صدقة ومعروفًا، فكيف بالكلمة الرقيقة لزوجك الذي هو أقرب الناس إليك؟! إن كلمة منك قد تقلب يومه حلاوة بعد مرارة، وسعادة بعد همّ، وتجعله يراك سرّ سكينته ودواء قلبه.

ولقد جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ معيار الخيرية في حسن الخلق، وحسن الخلق يشمل اللسان قبل غيره، فما قيمة صلاة وصيام بلا خُلق حسن وكلمة طيبة؟

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا**»(٢)

(١) رواه مسلم (٢٦٢٦).

(٢) رواه البخاري (٣٥٥٩) ومسلم (٢٣٢١).

فبهذا الحديث يتبيّن أن الزوجة إن أرادت أن تكون من خيار النساء، فلتجعل حسن الخلق منهجها، والكلمة الطيبة شعارها.

فالكلمة الطيبة ليست مجرد صوت يخرج، بل هي عطر يملأ أرجاء البيت، وبلسم يداوي جراح الزوج، وجسر يقرّب بين القلوب.

أمثلة للكلمة الطيبة التي تأسر قلب الزوج:

عند دخوله البيت:

«مرحبًا بك»، «نورت دارك»، «الحمد لله على سلامتك»، «زادك الله بركة وسعادة».

عند جلوسه متعبًا:

«الله يهون عليك»، «الله يقوّيك»، «أنا معك بعد الله»، «يسّر الله أمرك وفرّج همك».

عند خروجه:

«في أمان الله»، «رافقتك السلامة»، «الله يحفظك بعينه التي لا تنام»، «ويكتب لك الخير حيث كنت».

عند إحسانه وكرمه:

«جزاك الله خيرًا»، «ما قصّرت يا تاج رأسي»، «أسأل الله أن يبارك في رزقك وعُمرك».

كلمات محبّة دافئة:

«**يا حبيب القلب**»، «**يا نور البيت**»، «**يا سعادتي وسرّ أنسي**»، «**يا سروري بعد همّي**»، «**يا نعمة ربي التي أحمده عليها**»... ونحو هذه الكلمات مما تعارف الناس عليها أنها تؤنس الزوج.

فهذه الكلمات ليست مجرد حروف، بل هي مفاتيح تفتح مغاليق القلوب، ودواء يطيب به العيش، وزينة تزيد البيت نورًا وبهجة.

والكلمة الطيبة منكِ يا أيتها الزوجة الكريمة أغلى من ذهب، وأبقى من حُليّ، وأثمن من كل هدية.

المبحث الرابع: تجنّب الكلمات الجارحة

أيتها الزوجة، إيّاكِ والكلمات الجارحة أو السخرية؛ فإنها تهدم المودة وتترك في القلب جرحًا قد لا يندمل.

فالكلمة سهم نافذ، إن خرج لا يعود، وقد تكون سببًا في خراب بيتكِ وشتات عائلتكِ، وربما ندمتِ حين لا ينفع الندم.

قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الإسراء: ٥٣].

ففي الآية أمرٌ بانتقاء أحسن الألفاظ، وتحذير من أن تكون الكلمة مدخلًا للشيطان يزرع بها البغضاء والشقاق بين الزوجين.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

فاللسان مسؤول، وكل كلمة تُقال تُسجَّل، والكلمة الجارحة التي قد ترمي بها الزوجة زوجها في لحظة غضب، قد تكتب عليها وزرًا عظيمًا، وتكون سببًا في غضب الله، قبل أن تكون سببًا في نفور الزوج وهدم البيت.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(١)

فإذا كان سباب المسلم عامةً فسوقًا، فكيف بسبّ الزوج وشتمه بالكلمات القاسية؟ إن ذلك أعظم إثمًا، وأشد جُرمًا، وأسرع أثرًا في خراب العشرة.

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ**»(٢)

فانظري كيف جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حسن الخلق أثقل ما يوضع في الميزان، وجعل الفحش والبذاءة سببًا لمقت الله.

والكلمات الجارحة من أوضح صور الفحش والبذاءة التي تهدم القلوب.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ**»(٣)

(١) رواه البخاري (٤٨) ومسلم (٦٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٢)، وصححه الألباني «جامع الترمذي» (٢٠٠١).

(٣) رواه الترمذي (١٩٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٨١).

فالمؤمنة حقًّا تحفظ لسانها من الطعن واللعن والفحش، وأحق الناس أن تُصان ألسنتنا معهم هم الأزواج، فإن الكلمة القاسية قد تُسقط هيبتك من قلبه، وتُطفئ محبته لكِ، وربما دفعت به إلى الفراق والطلاق.

فيأيتها الزوجة الكريمة، تذكري أن الكلمة الجارحة قد تكون سببًا لحَتفك الأسري، فتهدم بيتك وتفقدي زوجك وتعيشي ندمًا طويلًا، بينما الكلمة الطيبة تحفظ عليك حياتك ومودتك وسعادتك.

فلا تحاولي أن تنتصري لقولك بغلظة أو قسوة، فإنكِ قد تربحي كلمة، لكنكِ قد تخسري زوجًا وبيتًا، وتعيشي غريبة بعد أن كنتِ عزيزة.

فاجعلي لسانك عطرًا لزوجكِ: قولي له جزاك الله خيرًا، بارك الله فيك، أسعدك الله كما أسعدتني، ولا تجعلي كلماتك سيوفًا تقطع حبال المودة.

فإن البيت يُبنى بالكلمة الطيبة، ويُهدم بالكلمة البذيئة.

الفصل العاشر عشر: الغيرة وآدابها

الغيرة من صــفات المرأة الفطرية، وهي دليل على شــدة محبتها لزوجها، لكنها إن خرجت عن حدّها أفسدت العشرة وأوقعت في الظنون والشقاق.

والزوجة المؤمنة تضبط غيرتها بضوابط الشرع، فلا إفراط ولا تفريط.

ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الغيرة المحمودة على العرض.

المبحث الثاني: ضبط الغيرة بما لا يفسد العشرة.

المبحث الثالث: الغيرة التي توقع في سوء الظن.

المبحث الرابع: الغيرة المفرطة سبب الشقاق.

المبحث الأول: الغيرة المحمودة على العرض

أيتها الزوجة، الغيرة المحمودة من الدين، وهي صفة مدح الله بها عباده المؤمنين.

عن سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فبلغ ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ فَوَاللهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ»(١)

دل هذا الحديث أن الغيرة على العرض من محامد الأخلاق، وأن الله جل وعلا يغار على عباده، فالزوجة مأمورة أن تغار غيرة معتدلة تحفظ بها نفسها وزوجها من أسباب الفتنة.

المبحث الثاني: ضبط الغيرة بما لا يفسد العشرة

الغيرة إن زادت عن حدها انقلبت إلى نزاع وخصام، والزوجة العاقلة تزن غيرتها بميزان الحكمة.

عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «دَخَلَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَتْ كَلِمَةً أَغْضَبَتْنِي، فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهَا حَتَّى أَسْكَتُّهَا، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَيَّ وَيَبْتَسِمُ»(٢)

في هذا الموقف أن الغيرة طبيعة في النساء، لكنها إن ضبطت بخلق حسن لم تُفسد الألفة.

---

(١) رواه البخاري (٦٨٤٦)، ومسلم (١٤٩٩).

(٢) رواه مسلم (٢٤٤٢).

وعلى الزوجة أن تُدرك أن المبالغة في الغيرة قد تهدم بيتها، فلتجعلها منضبطة بالشرع.

المبحث الثالث: الغيرة التي توقع في سوء الظن

من الغيرة ما يكون مذمومًا إذا حملت المرأة على التجسس أو إساءة الظن بزوجها بغير بيّنة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢].

هذه الآية تنهى عن سوء الظن والتجسس، فالمؤمنة تحفظ قلبها من الوساوس، فلا تتهم زوجها بغير حجة، ولا تجعل الغيرة سببًا لخراب بيتها وفساد عشرتها.

المبحث الرابع: الغيرة المفرطة سبب الشقاق

أيتها الزوجة المؤمنة:

المبالغة في الغيرة قد تُحيل الحياة إلى نزاع دائم، فتقطع الوصال، وتفتح أبواب الفتن، وتطفئ نار المودة والرحمة التي جعلها الله بين الزوجين.

فالغيرة إذا خرجت عن حدها صارت هدمًا لا بناءً، وشكًّا لا ثقة، وبلاءً لا نعمة.

أيتها الزوجة المؤمنة، إن المبالغة في الغيرة قد تُحيل الحياة إلى نزاع دائم، فتقطع الوصال، وتفتح أبواب الفتن، وتطفئ نار المودة والرحمة التي جعلها الله بين الزوجين.

فالغيرة إذا خرجت عن حدها صارت هدمًا لا بناءً، وشكًّا لا ثقة، وبلاءً لا نعمة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

فكثير من غيرة النساء في غير ريبة ما هي إلا سوء ظن وظلم للقلب، والله نهى عن ذلك وحذّر منه.

وعن جابر بن عتيك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللهُ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللهُ، فَأَمَّا الَّتِي يُحِبُّ اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا الَّتِي يُبْغِضُ اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ**»(١)

فانظري رحمك الله، كيف قسّم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الغيرة إلى ممدوحة ومذمومة: فالتي في موضع ريبة واجبة ومحبوبة، تحفظ الأعراض وتصون القلوب، أما التي في غير ريبة فهي مذمومة ممقوتة، تورث الشكوك، وتفسد القلوب، وتقطع المودة، وربما تهدم البيت على ساكنيه.

أيتها الزوجة الكريمة، كم من امرأة هدمت بيتها بغيرتها المفرطة، فصارت تتجسس على زوجها، وتفتّش في أغراضه، أو جواله أو تسأل هنا وهناك ومشغولة في كل تحركاته ومراقبة لكل أعماله وتسيء الظن به في كل حركة وسكون، حتى ضاقت به نفسه، ونفر منها قلبه، وصار البيت ميدان خصام لا سكنًا ولا رحمة.

وإياك أن تظني أن حب زوجك وتقديره وتعلّقه بك سيبقى صامدًا أمام كثرة الجدال وتراكم الغيرة والوساوس.

(١) رواه أبو داود (٢٦٥٩)، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٣٣٦).

فالمحبّ مهما بلغ حبه، له نفسٌ تضيق، وحدودٌ لا تحتمل، وإذا اشتد الضيق لم يعد يتذكر لحظتها كل مواقفك الجميلة وتضحياتك الماضية، بل يطغى عليه شعوره بالضجر والاختناق، فيعرض عنك، وربما يطلب الفراق.

فنصيحة أيها الزوجة إن فاتك شيء من حظوظك في الدنيا، مما تسعين له بسبب هذه الغيرة فاصبري واحتسبي، واجعلي نصب عينيك الجنة التي أعدها الله لعباده الصالحين.

فالصبر على نقص الدنيا يعوّضه الله بنعيم الآخرة، وما الحياة الدنيا إلا متاع زائل، والدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون.

فليكن همّك الأكبر رضا الله، لا مجرد الانتصار لغيرتك أو غلبتك في جدال مع زوجك.

فالعاقلة من تعلم أن هذه الدنيا قصيرة، وأن البيوت مهما زُخرفت لن تخلو من منغصات، فتغض الطرف عن الزلات، وتكظم غيظها عند وساوس الشيطان، وتضبط غيرتها في حدود الشرع والعقل، فتحفظ نفسها، وتصون بيتها، وتديم المحبة مع زوجها.

وختاما:

اعلمي أن الغيرة المعتدلة دليل حبّ، أما المفرطة فهي دليل ضعف عقل وقلة ثقة، قال بعض السلف: «من لم يُغضّ طرفه عند غيرته، عُذِّب قلبه، وخسر وده».

فالعاقلة من تضبط غيرتها، فلا تجعلها نارًا تأكل بيتها، بل تحفظ بها عرضها وزوجها بقدر، وتكظم غيظها إذا ثارت وساوس الشيطان.

وتذكري أن الزوج إذا شعر أن زوجته تسيء الظن به بلا دليل، ربما دفعه ذلك للنفور أو حتى الفراق والطلاق، فكوني حكيمة، ولا تحاولي الانتصـــار لغيرتك، بل انتصـــري لبيتك وعشرتك.

الفصل الحادي عشر: الزوجة والتعامل مع أهل الزوج

ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: برّ والديه.

المبحث الثاني: احترام إخوته وأقاربه.

المبحث الثالث: الإصلاح بينه وبين أهله.

المبحث الرابع: ستر عيوبه أمامهم.

المبحث الأول: برّ والديه

أيتها الزوجة المؤمنة، برّ الوالدين من أعظم القربات، وزوجك مأمور به شرعًا، فكوني عونًا له على ذلك، ولا تكوني حائلًا بينه وبين والديه.

واعلمي أن الله تعالى قرن برّ الوالدين بعبادته فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

فمن عظَّم والديه فقد عظّم الله، ومن عقَّهما فقد عرض نفسه لسخط الله.

والزوجة إن ساعدت زوجها على بر والديه نالت أجرًا عظيمًا، وجعلها الله سببًا للبركة في بيته ورزقه وعمره.

وقال الله جل وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

فتعاونك مع زوجك في برّه لوالديه هو من أعظم صور التعاون على البر والتقوى، فأنتِ لا تعينينه على شأن دنيوي فقط، بل تعينينه على طاعة عظيمة هي من أحب الأعمال إلى الله.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

فكلما دفعتِ زوجك لفعل الخير مع والديه، وصبرتِ على ذلك، كتبه الله في ميزان حسناتك، وجعل لكِ نصيبًا من فلاح الدنيا والآخرة.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ**»(١)

(١) رواه الترمذي (١٨٩٩) وحسنه، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (١٥).

فانظري كيف جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رضا الوالد سببًا لرضا الله، وسخطه سببًا لسخط الله، فكيف بمن كانت عونًا لزوجها في هذا الباب؟ إنها تنال من هذا الفضل نصيبًا وافرًا.

أيتها الزوجة المؤمنة، قد يحصل أن تسمعي من والدي زوجك كلمة تُسيء إليك، أو معاملة لا ترضيك، فاصبري واحتسبي ذلك لله، واذكري أنكِ بهذا الصبر تحفظين قلب زوجك وتسدّين باب الشيطان، وتجعلين بيتك قائمًا على السكينة.

وتأملي قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ [النحل: ١٢٧]، فالصبر مفتاح الفرج، ومن صبرت لله رفعها الله وطيّب عاقبتها.

واعلمي أيتها الزوجة أن زوجك إن كان عاقلا فعلا مهما أحبك فلن يقدمك على والديه؛ فهذا حقهما الذي أوجبه الله عليه، وهو أحرص على القيام به منك، فكوني له عونًا لا خصيمًا، وسندًا لا عائقًا.

لا تخبّبيه عليهما، ولا تحاولي أن تستحوذي على وقته وقلبه فيترك برهما، فإنكِ إن فعلتِ ذلك كنتِ من المخذولات، وقد يذيقك الله من جنس عملك، فترين العقوق في أولادك كما كنت سببًا في عقوق زوجك لوالديه.

والخلاصة أيها الزوجة الموفقة من فوائد إعانتك له على بر والديه:

١- نيل رضا الله تعالى.

٢- كسب حب زوجك وثقته.

٣- زيادة بركة البيت والرزق.

٤- نيل دعاء والديه الذي يفتح أبواب الخير.

٥- نشر المودة بينك وبين أهله.

٦- حفظ أولادك من العقوق، إذ يقتدون بك.

٧- أن يلين قلب زوجك لكِ ويحسن عشرتك.

٨- رفعة درجتك عند الله بالصبر والاحتساب.

٩- أن يجعلك الله سببًا في بركة عمره وصلاحه.

١٠- أن تُكتب حياتك في سجل المحسنين الصابرين.

فاحذري أن تكوني من النساء اللواتي كان شرّهن على أزواجهن بإساءة معاملة والديهم؛ فما أفلحن، وما كسبن إلا خسارة وخرابًا: إما بطلاق يقطع الحياة، أو بعقوبة من الله في أولادهن، فيُبتلين بعقوقهم كما عققن والدي أزواجهن.

أيتها الزوجة الصالحة، اجعلي نصب عينيك رضا الله أولًا، ورضا زوجك ثانيًا، ولا يهون عليك أن تصبري في سبيل ذلك؛ فإنما هي دنيا فانية، والآخرة خير وأبقى.

المبحث الثاني: احترام إخوته وأقاربه

أيتها الزوجة المؤمنة، صلة الرحم من أعظم ما أمر الله به، وزوجك يتقرب إلى الله ببر أرحامه وإكرامهم، فكوني له عونًا في ذلك، وأحسني معاملتهم واحترميهم، ولا تجعلي الغيرة أو الضيق سببًا في قطع ما أمر الله بوصله.

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النساء: ١].

فالله جل جلاله جعل صلة الأرحام من أصول الدين، وقرنها بتقواه، فلا يليق بالزوجة العاقلة أن تضيّق صدر زوجها بقطع رحمه أو تنفيره من أهله.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(١)

فانظري كيف جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صلة الرحم سببًا لزيادة الرزق وطول العمر، فإذا كنتِ معينة لزوجك على برّ أرحامه، وساهمتِ في جلب الخير والبركة إلى بيتك وأولادك، كان لك نصيب من الأجر والثواب.

أيتها الزوجة الكريمة، اعلمي أن أهل زوجك وأرحامه وأقاربه ليسوا أعداءك ولا خصومك، بل هم أهلك بحكم الشرع والعشرة.

فاحذري أن تغاري منهم أو تفتعلي معهم المشاكل، فإن ذلك يكدّر صفو الحياة الزوجية، وربما أفسد قلب زوجك عليك.

واعلمي أن برّه لأهله لا ينتقص من محبتك ولا مكانتك عنده، بل يزيده بركة في رزقه وعمره، ويزيدك أنت احترامًا في عينه.

واجعلي أهل زوجك يحبونك ويثنون عليك بحسن معاملتك، وكوني سببًا في إدخال السرور على قلوبهم، فإن دعاءهم لك في حياتك وبعد موتك من أعظم المكاسب.

وكم من زوجة صالحة أحبّها أهل زوجها، فصاروا يذكرونها بخير في غيبتها، ويدعون لها بعد وفاتها، فكان ذلك ذخرًا لها عند الله.

(١) رواه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

واعلمي أن من النساء من أفسدن بيوتهن بغيرتهن من أهل أزواجهن، فأصبحن سبب قطيعة وخصام، فما أفلحن ولا سعدن، وكان جزاؤهن النفور والبعد وربما الطلاق.

بينما الحكيمة من تحسن معاملة أهل زوجها، وتدخل السرور على قلبه إذا رآها تكرم أهله وتوقرهم، فيزداد حبًّا لها وتعلّقًا بها.

فأحسني استقبال أهله، وتوددي إليهم بالكلمة الطيبة والابتسامة، وكوني لهم أختًا وابنة، فإنك بهذا تنالين أجر الصلة، وتكسبين قلب زوجك، وتجعلين بيتك موئلًا للرحمة والبركة، وتفوزين بمحبة أهله ودعائهم في الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث: الإصلاح بينه وبين أهله

أيتها الزوجة المؤمنة، من أعظم ما تقومين به في حياتك الزوجية أن تكوني سببًا في الإصلاح بين زوجك وأهله إن حصلت بينهم خصومة أو جفاء، فالله جل وعلا قد مدح المصلحين فقال: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

فكيف إذا كان الإصلاح بين الرجل ووالديه أو رحمه الأقربين؟ ذلك أعظم أجرًا وأبقى أثرًا.

واعلمي أيتها الكريمة، أن الشيطان لا يحرص على شيء كحرصه على قطع الأرحام وإيقاع العداوة بين الناس، وأشدها بين الرجل وأهله، لأنه إن نجح في ذلك فرق البيت وأطفأ المودة.

وهنا يأتي دورك، فكوني جدارًا يحمي بيتك من مكايد الشيطان، لا معولًا لهدمه.

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ»(١)

فانظري كيف جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الإصلاح أعظم من النوافل، وجعل فساد ذات البين حالقًا للدين كما تحلق الموسى الشعر، فإياكِ أن تكوني سبب فساد بل كوني سبب إصلاح.

أيتها الزوجة، لا تفرحي إذا غضب زوجك على أحد من أهله أو خاصمهم، بل عليك أن تذكريه بفضل الصلة، وتسكّني من غضبه، وتدلّيه على طريق الصفح والعفو، فإنك إن فعلتِ ذلك ملكتِ قلبه، وشعرتِ أنه لا غنى له عنك في شدته ورخائه.

واحذري أن تكوني عونًا للشيطان عليهم، فتزيدي الشر وتذكي نار الخصام، أو تحرّضيه على القطيعة، فإنك بهذا تخسرين أجر الله، وتضيّعين حسناتك، وتجلبين السخط على بيتك.

واعلمي أن من النساء من كنّ سببًا لقطيعة أرحام أزواجهن، فما أفلحن ولا ربحن، وكان الجزاء من جنس العمل.

فكوني سببًا لجمع الكلمة، وأصلحي ما استطعت، بالكلمة الطيبة، والذكر الحسن، وتلطيف الأجواء، وإظهار المحبة.

(١) رواه أبو داود (٤٩١٩) وصححه الألباني في «سنن أبي داود» (٤٩١٨).

وإذا رأيتِ زوجك متكدرًا من أهله فذكّريه بحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»(١)

أيتها الزوجة العاقلة، اجعلي شعارك دائمًا: أن بيتك لا يكون بابًا للفتنة، بل جسرًا للمحبة والوصل، وكوني سببًا في أن يحبك أهله ويدعون لك، في حياتك وبعد موتك، وهذا والله من أعظم ما يُبقي ذكرك طيبًا.

المبحث الرابع: ستر عيوبه أمامهم

أيتها الزوجة المؤمنة، من كمال العقل وحسن الخلق أن تستري عيوب زوجك، وألّا تُظهري نقصه أو زلّاته أمام أهله وأقاربه، فإن كشف العيوب يذهب المروءة، ويُسقط الهيبة، ويزرع الشقاق.

والمرأة العاقلة تحفظ سرّ زوجها، وتستر ما تكره منه، وتصون مكانته عند أهله كما تصونه عند الناس.

قال الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فشبّه الله كلًّا من الزوجين باللباس للآخر، واللباس ستر وزينة، فكما لا يليق باللباس أن يكشف عورة صاحبه، لا يليق بالزوجة أن تكشف عيوب زوجها أو تفضحه بين أهله.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يَفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتَفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يُنْشِرُ سِرَّهَا»(٢)

(١) رواه البخاري (٥٩٩١).

(٢) رواه مسلم (١٤٣٧).

فهذا في إفشاء أسرار الفراش، فكيف بما هو أهون منه من كشف العيوب والعثرات؟ لا شك أن سترها أولى وأعظم أجرًا.

أيتها الزوجة الكريمة، إنك إن حفظت لزوجك مكانته بين أهله وأظهرت محاسنه أمامهم، ضاعف الله محبته لك، وازداد ثناؤهم عليك، وكان ذلك سببًا في دوام المودة.

أما إذا كنتِ لا تذكرينه إلا بالنقص واللوم، أو تشتكينه عندهم كل حين، فإنكِ تُسقطين قدره من أعينهم، وتُسقطين معه محبتهم لك.

تذكري أن الستر لا يعني إنكار العيوب أو ترك النصيحة، بل يعني أن تكون النصيحة في موضعها الصحيح: خلوة هادئة، بعبارة لينة، بعيدة عن التشهير والإحراج.

فإن الزوج إذا وجد فيك ستيرة لعيوبه، ناصحة له في خلائه، أحبك وتمسك بك، ورأى فيك الكنز الذي لا يُعوَّض.

واحذري أن تكوني ممن يفتح للشيطان بابًا في أهل الزوج بذكر مساوئه عندهم، فإن ذلك يزرع العداوة بينه وبينهم، وربما أورث بغضًا لا يزول، بل كوني جدار سترٍ له، وسببًا في صلاحه، وسدًّا لباب الفتنة.

أيتها الزوجة العاقلة، اجعلي شعارك أن تكوني لباسًا لزوجك سترًا وزينة، وألّا يخرج من بيتك إلى أهله إلا وقد زيّنتِ صورته في أعينهم، فيرونك محسنة له، فيحبونك ويثنون عليك، ويدعون لك في حياتك وبعد وفاتك.

الفصل الثاني عشر: الصبر في المواقف الصعبة

أيتها الزوجة المؤمنة، اعلمي أن الحياة الزوجية ليست دائمًا وردية ميسّرة، بل تمر بمحن وابتلاءات، ويظهر فضل الزوجة الصالحة عند الشدائد والمصاعب، بالصبر والرضا، والثبات والإحسان.

ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الصبر على فقره.

المبحث الثاني: الصبر على شدته.

المبحث الثالث: الثبات عند سفره وغيابه.

المبحث الرابع: خدمته عند مرضه وكِبَره.

المبحث الأول: الصبر على فقره

أيتها الزوجة المؤمنة، الفقر ابتلاء من الله، يمتحن به عباده لينظر أيصبرون أم يجزعون، وقد يكون زوجك في حال من قلة ذات اليد وضيق العيش، فكوني له عونًا على البلاء، وسندًا في الشدة، ولا تكوني عليه ثقلًا وهمًّا.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [سورة البقرة:١٥٥].

فجعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نقص الأموال من أعظم أبواب الابتلاء، وبشّر الصابرين على ذلك بالبشرى العظمى.

وعن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(١)

فالمؤمنة الصادقة تصبر مع زوجها في ضيقه وفقره، كما تشكر معه في غناه وسعته، فلا تتغير مودتها بتغير الحال، ولا يضعف وفاؤها عند نزول البلاء.

أيتها الزوجة الكريمة، إن من النساء من صبرن مع أزواجهن في حال الفقر والضيق، ففتح الله لهن أبواب الرزق من حيث لا يحتسبن، فصارت حياتهن بعد العسر يسرًا، وبعد الضيق فرجًا.

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

ومن النساء من ضجرن، فزلزلن بيوتهن، وضيّعن حسناتهن، فصرن سببًا في نفور الأزواج وضياع العشرة.

تذكري أن رضاك بالقليل، وصبرك على الحرمان، يجعلك كبيرة في عين زوجك، وسببًا لدوام مودته، فرب كلمة صابرة منك تُنسيه هموم الدنيا، ورب ابتسامة راضية تفتح له أبواب الأمل.

فيا أيتها العاقلة، اجعلي صبرك على فقره قربة لله، واحتسبي الأجر عنده، واصبري صبر الكرام، فإنها دنيا زائلة، والآخرة خير وأبقى، وما عند الله من الغنى والثواب أعظم وأجمل.

المبحث الثاني: الصبر على شدته

أيتها الزوجة المؤمنة، إن الزوج بشر، يعتريه ما يعتري سائر الناس من حدة الطبع، وضيق الخلق، وتغير الحال.

وقد يكون في زوجك شيء من الغلظة أو الجفاء أو سرعة الغضب، فكوني له معينًا على إصلاح نفسه، ودواءً لحدة طبعه، بالصبر والحلم والرفق.

لقد أمر الله تعالى بالمعاشرة بالمعروف، فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، والمعاشرة بالمعروف لا تستقيم إلا مع صبر متبادل، وتغاضٍ عن الزلات، وحسن تدبير للمواقف.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُفْرِكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»(١) فالزوجة الصالحة هي التي تتغاضى عن السيئ لتبقى على الحسن، وتطفئ بنور حلمها نار الغضب، وتجعل من بيتها واحة للسكينة.

فمن النساء من قابلن غلظة أزواجهن باللين، وجهامة وجوههم بالابتسامة، فذابت قسوة القلوب، وأثمرت العشرة حبًّا ووفاءً.

ومنهن من قابَلن الغلظة بغلظة، فازدادت النار اشتعالًا، وضاع البيت بين شدٍّ وجذب، ونزاعٍ لا ينتهي.

تذكّري أيتها المؤمنة أن صبرك على سوء خلق زوجك قد يكون سببًا في صلاحه، وأن حلمك قد يهديه بعد قسوة، وأن دعاءك في الليل قد يبدّل حاله من سوء إلى حسن، كما قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾ [فصلت: ٣٤].

فيا أيتها العاقلة، لا تجعلي سوء خلقه سببًا في قطع مودتك أو نقض عهدك، بل اصبري صبر الكرام، واحتسبي الأجر عند الملك العلام.

واعلمي أن الصبر على الأذى من أعظم القربات، وأن الجزاء على قدر المشقة، وما عند الله خير وأبقى.

(١) رواه مسلم (١٤٦٩).

المبحث الثالث: الثبات عند سفره وغيابه

أيتها الزوجة، إذا سافر زوجك أو غاب، فإن الأمانة عظيمة، وعليك الصبر والثبات حتى يعود.

قال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

دلت الآية أن الزوجة الصالحة تحفظ غيبة زوجها في ماله وعرضه وبيته، وهذا لا يتحقق إلا بالصبر والثبات، وإحسان التوكل على الله، واليقين أن الصبر عبادة يؤجرها الله عليها.

المبحث الرابع: خدمته عند مرضه وكِبَره

أيتها الزوجة المؤمنة، من أصدق دلائل الوفاء أن تقفي مع زوجك في ساعة مرضه وضعفه، وتكوني له عونًا ورفيقًا عند اشتداد البلاء، فإن ذلك من شيم الصالحات، ومن تمام المودة والرحمة التي جعلها الله بين الزوجين.

وقد كان لك في أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أعظم قدوة، فقد لازمت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في مرضه الذي مات فيه، وكانت تقوم على خدمته بنفسها.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ تَقُولُ: «إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ: نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ: نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ

وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ يَشُكُّ عُمَرُ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ، يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»، حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ»(١)

فتأملي أيتها الكريمة، كيف كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تخدمه حتى في آخر لحظاته، تُليّن له السواك بريقها لتيسّر عليه الاستنان، وتفتخر بأن وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كانت بين صدرها وعنقها.

هذا هو غاية الوفاء والرحمة، وهو دليل على أن خدمة الزوج في مرضه عبادة وقربة ووفاء لا يضاهى.

وقالت أيضًا: «مَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي»(٢)

فهذه شهادة عظيمة، تُبيّن أن أعظم لحظات الحياة الزوجية هي الثبات عند الشدائد، والقيام بحق الزوج في مرضه وضعفه.

أيتها الزوجة الصالحة، فإذا كان هذا حال أم المؤمنين مع سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فكيف لا تصبرين مع زوجك وتخدمينه في مرضه وكبره؟ إنك بهذا تثبتين وفاءك، وتكسبين أجرًا عظيمًا عند الله، وتزرعين في قلبه حبًا لا يزول.

(١) رواه البخاري (٤٤٣٨)، ومسلم (٢٤٤٣).

(٢) رواه البخاري (٤٤٤٩).

فيا أيتها المؤمنة، اجعلي خدمة زوجك في مرضه قربة لله، واحتسبي عنده كل كلمة ودٍ، وكل لمسة رحمة، وكل ساعة سهر معه، فإنها تُكتب في ميزان حسناتك، وتكون لك ذخرًا عند لقاء الله تعالى.

الفصل الثالث عشر: محاذير يجب اجتنابها

أيتها الزوجة المسلمة، بعد أن بيّنا حقوق الزوج وما يجب عليك من طاعته ومعاشرته، اعلمي أن هناك محاذير عظيمة نهى الشرع عنها، إذا وقعت فيها المرأة أفسدت حياتها الزوجية وأثمت عند الله عز وجل.

فالبيت لا يستقيم مع النشوز، ولا يدوم مع كثرة الجدال، ولا يصفو مع رفع الصوت، ولا يثبت مع التطلع إلى غير الزوج.

ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التحذير من النشوز.

المبحث الثاني: رفع الصوت على الزوج.

المبحث الثالث: التطلع إلى غيره من الرجال.

المبحث الأول: التحذير من النشوز

أيتها الزوجة المؤمنة، إن من أعظم الذنوب التي تهدم البيوت وتقطع أواصر المودة: النشوز، وهو عصيان الزوج وترك طاعته فيما أمر الله به، والتكبر عن أداء حقه، ورفع النفس عن قوامته التي جعلها الله له.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النساء: ٣٤].

دلّت الآية على أن النشوز ذنب عظيم، حتى شرع الله للزوج وسائل إصلاحه تدريجًا: الموعظة، ثم الهجر، ثم التأديب بالضرب غير المبرّح، مما يبيّن خطورته وأنه فساد في الحياة الزوجية.

وجاء التحذير الشديد في السنة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**»(١)

وفي رواية مسلم: «**... إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا**».

وهذا وعيد عظيم، إذ جعلت معصيتها لزوجها سببًا لسخط الله تعالى، ولعنة الملائكة، فكيف بمن اعتادت النشوز والعصيان؟

(١) رواه البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (١٤٣٦).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اثْنَانِ لَا تَتَجَاوَزُ صَلَاتُهُمَا رُؤُوسَهُمَا: عَبْدٌ آبِقٌ حَتَّى يَرْجِعَ، وَامْرَأَةٌ عَصَتْ زَوْجَهَا حَتَّى تَرْجِعَ»(١)

فانظري أيتها المؤمنة، كيف جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نشوز الزوجة مانعًا من قبول صلاتها حتى ترجع وتتوب وتُرضي زوجها.

وعن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ»(٢)

فقرن طاعة الزوج بأعظم الفرائض كالصلاة والصيام والعفاف، وجعلها طريقًا إلى الجنة، فكيف بالناشز التي خالفت هذا كله؟

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لَا تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ اللهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا»(٣)

فهذا يبين أن النشوز والأذى للزوج ليس فقط جريمة في الدنيا، بل سبب لخسارة نعيم الآخرة وغيرة الحور العين على أزواجهن.

(١) رواه الحاكم (٢/ ١٨٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٦).
(٢) رواه أحمد (١٦٦١)، وابن حبان (٤١٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٠).
(٣) رواه الترمذي (١١٧٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٠٦٩).

الخلاصة:

أيتها الزوجة المؤمنة، النشوز كبيرة من الكبائر، لا يليق بالمرأة العاقلة أن تلوث به نفسها؛ إذ هو سبب للعنها من الملائكة، وبُعد صلاتها عن القبول، وسخط الله تعالى عليها، بل هو طريق إلى خراب البيوت وضياع المودة.

فالزوجة الصالحة تبادر إلى طاعة زوجها، وتبتعد عن التمرد والعناد، وتجعل طاعتها له قربة لله وسببًا لدخول الجنة.

المبحث الثاني: رفع الصوت على الزوج

أيتها الزوجة المؤمنة، إن رفع الصوت على الزوج صورة من صور سوء الأدب وقلة الاحترام، وهو مما يجرح قلبه، ويكسر هيبته، ويمزّق المودة التي جعلها الله بينكما.

وقد جاءت النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة بالتحذير من أذية الزوج أو التقصير في حقه.

قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

فإذا كان الله أمر بحسن القول مع عموم الناس، فالزوج أولى الناس بحسن الكلام ولين الخطاب، وأحقهم بخفض الصوت وتوقير المقام.

وعن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا كُلَّهُ»(١)

فرفع الصوت على الزوج يناقض تمامًا ما أمر الله به من تعظيم حقه وتقديم طاعته في غير معصية.

وعن حصين بن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حَدَّثَتْنِي عَمَّتِي أَنَّهَا أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ، فَسَأَلَهَا: «أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟»

قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَ: «كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟»

قَالَتْ: مَا آلُوهُ إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ.

قَالَ: «فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ»(٢)

فانظري كيف جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مصير الزوجة متعلقًا برضا زوجها؛ جنة أو نار، فكيف إذا قابلته بالصياح ورفع الصوت؟!

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لَا تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ اللهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا»(٣)

(١) رواه ابن ماجه (١٨٥٢)، وأحمد (١٩٠٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٥١٢).

(٢) رواه أحمد (١٩٠٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٣٣).

(٣) رواه الترمذي (١١٧٤)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٠٦٩).

وفي هذا وعيد بليغ، يبين أن أذى الزوج – ورفع الصوت من أبرز صوره – يُعرّض المرأة لغضب الله وحرمانها من نعيم الآخرة.

الخلاصة:

أيتها الزوجة الكريمة، إن رفع الصوت على الزوج ليس مجرد خطأ عابر، بل هو باب من أبواب النشوز وسوء العشرة، وسبب في نفور الزوج وخراب البيت، وهو معصية توجب سخط الله، والزوجة الصالحة تضبط لسانها، وتخفض صوتها، وتستحي من الله قبل أن تستحي من زوجها، وتجعل كلامها لينًا وطيبًا، كما قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

المبحث الثالث: التطلع إلى غيره من الرجال

أيتها الزوجة المؤمنة، إياك أن تجعلي قلبك معلقًا بغير زوجك، أو تطلقي بصرك فيما حرّم الله من هيئات الرجال وصورهم وهذا مع أنه محرم شرعا سواء بشهوة أو بغير شهوة فهو أيضا من أعظم أسباب الفتنة، وأخطر أبواب الشيطان إلى قلبك. وما بدأ انحراف امرأة إلا بنظرة أعقبت هواجس، ثم تعلّقًا، ثم زهدًا في زوجها، حتى هدم الشيطان بيتها، وأهلك نفسها.

قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

فالزوجة الصالحة هي التي تحفظ عينها وقلبها، فلا تنظر إلى غير زوجها، ولا تجعل في نفسها ميلًا سواه، بل ترضى بما قسم الله لها، وتستشعر أن الوفاء له عبادة، وحفظ الغيب أمانة.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبَهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مُحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوِي وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ»(١)

وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظَرِ الفَجَاءَةِ، فَقَالَ: «اصْرِفْ بَصَرَكَ»(٢)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَزِنَاهُمَا النَّظَرُ»(٣)

وهذه النصوص كلها تدل على أن النظرة المحرمة زنا للعين، وأنها أول طريق الفتنة، ومفتاح فساد القلب، حتى يصدّقها الفرج أو يكذّبها.

وعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»(٤)

(١) رواه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).
(٢) رواه مسلم (٢١٥٩).
(٣) رواه مسلم (٢٦٥٨).
(٤) رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

فكيف بالمرأة إذا كانت هي الفاتنة لغيرها، أو كانت هي نفسها أسيرة فتنة قلبها وعينها؟!

الخلاصة:

أيتها المؤمنة، اعلمي أن التطلع إلى غير زوجك ليس مجرد معصية عابرة، بل هو بداية طريق الخيانة، وأعظم مفاسده أنه يزرع في قلبك السخط على زوجك، وعدم القناعة بخلقه أو مظهره أو ماله، فتفسد مودتكما، وتضيع عشرتكما.

والزوجة الصالحة تعلم أن السعادة ليست في جمال رجل تُفتن به، ولا في مال تراه في يد غيره، وإنما السعادة في طاعة الله، والرضا بما قسم، والوفاء لزوجها، فهي قانتة، حافظة للغيب، صائنة لقلبها وبصرها، وفية لميثاقها العظيم.

الفصل الرابع عشر: الوفاء بعد موت الزوج

أيتها الزوجة المؤمنة، إن الحياة الزوجية لا تنتهي بالموت، بل يمتد أثرها إلى ما بعده وفاءً وعرفانًا.

فالمرأة الصـــالحة تحفظ حق زوجها بعد وفاته، وتســتمر في البر والدعاء والذكر الحسن، وترعى أولاده من بعده، وتحتسب صبرها عند الله.

ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حفظ اسمه وذكره بخير.

المبحث الثاني: الصبر على ترمّلها واحتساب الأجر.

المبحث الثالث: الصبر على ترمّلها واحتساب الأجر.

المبحث الأول: حفظ اسمه وذكره بخير

أيتها المؤمنة، من الوفاء أن تحفظي لزوجك ذكره، فلا تذكريه بسوء بعد وفاته، ولا تنسي فضله ومعروفه، بل تكوني شاكرة له في حياته وبعد موته.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وهذه الآية وإن نزلت في شأن الطلاق، إلا أن معناها عام في كل علاقة بين الزوجين، فالفضل باقٍ بعد الحياة وبعد الموت، فلا يليق بالزوجة الصالحة أن تنسى إحسان زوجها، بل تحفظ جميله، وتترحم عليه، وتثني بخيره، فيبقى الفضل شاهدًا لها لا عليها.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يُبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ! فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»(١)

دل الحديث أن ذكر الزوجة الوفية لا يزول حتى بعد موتها، فهذا حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فكيف بالزوجة الصالحة وهي مأمورة أن تحفظ ذكر زوجها بعد وفاته، وتثني عليه بخير، وتدعو له، فلا تنسى عشرته وفضله.

ختاما:

من الأمور التي من رعاية المعروف الدعاء له بعد وفاته

(١) رواه البخاري (٣٨١٨)، ومسلم (٢٤٣٥).

من أعظم ما تقدمه الزوجة لزوجها بعد موته أن ترفع يديها بالدعاء له.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

دلت الآية أن من الوفاء للمؤمنين الدعاء لهم بعد موتهم، والزوج أحق الناس بدعاء زوجته له، فهي حين تدعو له بالرحمة والمغفرة ترد له بعض حقه عليها، وتستجلب لنفسها الأجر العظيم.

المبحث الثاني: رعاية أولاده وأيتامه

أيتها الزوجة، إن من أعظم صور الوفاء بزوجك بعد موته أن ترعي أولاده وتقومين على تربيتهم وحفظهم.

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ**» وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئًا. (١)

دل الحديث أن كفالة اليتيم منزلة عظيمة عند الله، فكيف إذا كانوا أبناء الزوج الراحل؟ إن عنايتك بأولاده من أعظم ما توفينه من حقه، فتبقين بذلك أمًّا رحيمة وصالحة، وسببًا في صلاح ذريته بعده.

أيتها المؤمنة، لا تظني أن الرعاية تقتصر على الطعام والشراب، بل هي قبل ذلك غرس الإيمان، وحسن التوجيه، ورعاية الأخلاق، والسعي في نفعهم وصلاحهم، حتى يكونوا ذرية صالحة تدعو لكِ ولأبيهم بعد موته.

---

(١) رواه البخاري (٥٣٠٤).

واعلمي أن إهمال الأولاد أو التفريط فيهم بعد موت أبيهم من أعظم الخيانة للميثاق، ومن أقبح الجحود بحق الزوج الراحل.

فكوني وفيّة له بحسن رعاية أولاده، فإن ذلك وفاءٌ حيٌّ يجري عليه وعلى قلبك بركةً ورحمةً.

فأنتِ – أيتها الزوجة الوفية – إن قمتِ بحقهم، فلكِ أجر كفالة اليتيم، وأجر برّك بزوجك بعد وفاته، وأجر التربية الصالحة.

وهذه من أعظم أبواب الجنة للمرأة الصالحة.

أيتها الزوجة الصالحة، إن قيامك برعاية أولاده، وتربيتهم التربية الإيمانية الصالحة، وحفظهم من الضياع والفتن، من أعظم ما يرفع درجتك عند الله، ويجري عليك الأجر بعد موت زوجك.

المبحث الثالث: الصبر على ترمّلها واحتساب الأجر

أيتها المؤمنة، قد يبتليك الله بوفاة زوجك، فلا تجزعي، واحتسبي الأجر عند الله، فالصبر باب عظيم للثواب.

عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»(١)

(١) رواه مسلم (٩١٨).

دل الحديث أن الصبر على المصائب، ومنها فقد الزوج، سبب للأجر والخلف من الله.

فكوني صـــابرة محتســـبة، راجية ثواب الله، فإن ما عنده خير وأبقى، وبهذا تختمين حياتك الزوجية بوفاء صادق واحتساب عظيم.

الفصل الخامس عشر: أحكام خاصة بالزوجة

أيتها الفتاة المؤمنة، إن الشـريعة المطهرة لم تُغفل عن بيان دقائق الحقوق الزوجية، فجاءت نصوص السنة تضع لكِ أحكامًا خاصة تميّز حياتك مع زوجك، فلا تضيّعيها، ففي الالتزام بها سعادة الدنيا والآخرة.

ويشتمل هذا الفصل على سبعة مباحث:

المبحث الأول: صوم التطوع بإذن الزوج.

المبحث الثاني: السفر وآدابه (ومع المحرم).

المبحث الثالث: الإحداد والعدة بعد وفاة الزوج.

المبحث الرابع: الإنفاق من طعام البيت بالمعروف.

المبحث الخامس: النهي عن طلب طلاق الضرة.

المبحث السادس: النهي عن طلب الطلاق بلا بأس.

المبحث السابع: النهي عن وصف النساء للزوج.

المبحث الأول: صوم التطوع بإذن الزوج

أيتها الزوجة، من محاسن الشرع أن جعل طاعة الزوج مقدمة حتى على نوافل العبادات، ما دامت لا تضيع فريضة ولا واجبًا.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَصُومُ الْمَرْأَةُ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ»(١)

دلت هذه السنة على أن حق الزوج أعظم من صوم التطوع، لأنه محتاج إلى أنسها وخدمتها، وقد يشق عليه امتناعها عنه بالصوم، فجاء الشرع بتقديم رضاه على النافلة.

فانظري رحمكِ الله، كيف حفظ الإسلام حق الزوج حتى في أدق العبادات، لتعلمي أن الحياة الزوجية ميثاق عظيم لا يُفرّط فيه.

المبحث الثاني: السفر وآدابه (ومع المحرم)

أيتها الزوجة المسلمة، إن حفظ العرض من أعظم مقاصد الشرع، فجعل سفر المرأة مقيدًا بالمحرم صيانة لها وستراً.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»(٢)

---

(١) رواه البخاري (٥١٩٢)، ومسلم (١٠٢٦).

(٢) رواه البخاري (١٠٨٨)، ومسلم (١٣٣٩).

هذا الحديث الشريف يبين أن السفر مظنة الخطر، والمرأة بطبعها بحاجة إلى من يحوطها ويصونها، فجاء الشرع بإلزام المحرم، حماية لها من الفتن، وصيانة لكرامتها، ولئلا تتعرض لمكروه في غربتها.

فاحرصي أيتها الزوجة أن لا تغتري بفتاوى التساهل، فالسلامة لا يعدلها شيء.

المبحث الثالث: الإحداد والعدة بعد وفاة الزوج

أيتها المرأة المؤمنة، إذا مات الزوج، جعل الله لكِ عِدَّةً محددةً شرعًا، وهي أربعة أشهر وعشرة أيام، ملازمةً فيها بيتك الذي جاءك فيه نعي زوجك، لا تخرجين إلا لضرورة أو حاجة معتبرة.

وهذه العدة وفاءٌ لحق الزوج، وإظهار لعظم الميثاق الغليظ الذي ربطك به.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وعن أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»(١)

(١) رواه البخاري (١٢٨٠)، ومسلم (١٤٨٦).

وعن الفريعة بنت مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (أخت أبي سعيد الخدري) أنها قالت: «خَرَجَ زَوْجِي فِي طَلَبِ أَبْقُرٍ لَهُ أَبَقُوا، فَلَقِيَهُمْ فَقَتَلُوهُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ لَهُ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَعْتَدَّ فِي بَيْتِي الَّذِي جَاءَنِي فِيهِ نَعِيُ زَوْجِي حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ»(١)

فدلت الآية والسنن على أمور عظيمة:

١- أن العدة للمتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرًا، لا تزيد ولا تنقص.

٢- أنها تلزم بيتها الذي بلغها فيه خبر وفاة زوجها، فلا تنتقل منه إلا لعذر أو ضرورة.

٣- أنها تمتنع من الزينة والطيب والكحل والحلي، وفاءً لحق زوجها، وتعظيمًا لرابطة الزوجية حتى بعد وفاته.

فانظري أيتها الزوجة المؤمنة كيف جعل الإسلام الوفاء مقرونًا حتى بعد الموت، فكما كنت مأمورةً بطاعته في حياته، فأنت مأمورة بحفظ حقه بعد وفاته، بالصبر والاحتساب، والالتزام بما شرع الله لك في عدتك، حتى تختمين عهدك معه بالوفاء الكامل.

المبحث الرابع: الإنفاق من طعام البيت بالمعروف

أيتها الزوجة، من حقوق زوجك أن لا تتصرفي في ماله إلا في حدود المعروف، فلا تسرفي ولا تضيعي.

(١) رواه أبو داود (٢٣٠٠)، والترمذي (١٢٠٤)، وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٣٠٠).

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ، وَلِزَوْجِهَا أَجْرُهُ بِمَا اكْتَسَبَ، وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ، لَا يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ أَجْرَ بَعْضٍ شَيْئًا»(١)

هذا الحديث يرسم لكِ الطريق الوسط: أن تنفقي بالمعروف، بغير إسراف ولا تضييع، فتحصلين على الأجر، ويُكتب لزوجك مثل ذلك. أما إذا تجاوزتِ الحد أو أسرفتِ، فإنك آثمة. فكوني حافظة لبيتك، مدبرة في مالك، فإنها أمانة عظيمة.

المبحث الخامس: النهي عن طلب طلاق الضرة

أيتها المؤمنة، إن من أعظم صور الظلم أن تطلب المرأة من زوجها أن يطلق ضرتها لتنفرد به.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسْأَلِ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا، فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»(٢)

هذا الحديث أصل في تحريم أن تتسبب المرأة في ظلم أختها الضرة، فالمؤمنة الصادقة تعلم أن الرزق مقسوم، وما كتبه الله لها ستدركه، فلا تُفسد حياتها ولا حياة أختها المسلمة بالغيرة المذمومة.

فكوني عظيمة النفس، راضية بما قسم الله لك، ولا تطلبي ما فيه ظلم لغيرك.

(١) رواه البخاري (١٤٣٧)، ومسلم (١٠٢٤).

(٢) رواه البخاري (٦٦٠١)، ومسلم (١٤١٣).

المبحث السادس: النهي عن طلب الطلاق بلا بأس

أيتها الزوجة، من الكبائر أن تطلب المرأة الطلاق بغير سبب شرعي معتبر.

عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ»(١)

إن الطلاق بغير سبب ظلم للنفس وللزوج وللأبناء، وهو تعدٍ على حدود الله، وقد شدد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في التحذير حتى توعّد المرأة بأنها تحرم من رائحة الجنة إن طلبت الطلاق من غير حاجة.

فاحذري أيتها الزوجة أن تستهيني بهذا الأمر، وكوني صابرة محتسبة.

المبحث السابع: النهي عن وصف النساء للزوج

أيتها الزوجة، من المحرم أن تصفي لزوجك امرأة أخرى حتى كأنه يراها بعينه.

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا»(٢)

هذا الحديث يقطع الطريق على كل فتنة، فالوصف قد يثير شهوة الزوج أو يفتح باب تعلق بغيرك، فسدّه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من أوله.

فاحفظي لسانك أيتها المؤمنة، ولا تذكري من النساء شيئًا يوقع زوجك في الفتنة، بل اشغليه بحبك وزينتك أنتِ.

---

(١) رواه أبو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٢٢٦).

(٢) رواه البخاري (٥٢٤٠)، ومسلم (٢١٢٧).

الفصل السادس عشر: نوازل العصر وآداب العفة الرقمية

أيتها الزوجة المؤمنة، لقد تغيرت الحياة وتوسعت الفتن، وصارت الأجهزة والهواتف ومواقع التواصل ساحةً يختبر الله فيها صدق إيمانك، فكان لزامًا أن تراعي أوامر الشرع في هذا الباب إن ابتليت بذلك مع أن السلامة لا يعدلها شيء فالأولى اجتنباها كليا إلا أن تحملي جولا عاديا تتواصلين فيما لابد منه.

ويشتمل هذا الفصل على ستة مباحث:

المبحث الأول: الحذر من فتنة وسائل التواصل.

المبحث الثاني: وجوب صيانة العين من الصور المحرمة.

المبحث الثالث: التحذير من الدردشة مع الأجانب.

المبحث الرابع: لزوم الاستقامة والثبات في زمن الفتن

المبحث الخامس: الحذر من ضياع الأوقات على الشبكة

المبحث السادس: الزوجة القدوة في استعمال الهاتف والنت

المبحث الأول: الحذر من فتنة وسائل التواصل

أيتها المرأة المؤمنة، لقد صارت وسائل التواصل الحديثة بابًا عظيمًا من أبواب الشر والفتنة، يدخل منها الشيطان إلى القلوب والعقول، فيفسد الدين والأخلاق. فلا تكوني ممن خدعهم بريق الصور والكلمات.

قال الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾ [سورة النور: ٢١].

دلت الآية على أن الشيطان يقود العبد خطوة خطوة حتى يوقعه في الفاحشة، ووسائل التواصل اليوم من أعظم ميادينه.

فاحذري أيتها العفيفة أن تجعلي هاتفك جسرًا إلى المعصية، بل إن كان ولابد ستحملين أن تجعليه وسيلة للخير، وصيانة للدين، وحفظًا لكرامتك.

المبحث الثاني: وجوب صيانة العين من الصور المحرمة

كثير من الفتن تبدأ بنظرة، والنظر سهم مسموم كما جاء في الحديث.

عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ نَظَرِ الفَجَاءَةِ، فَقَالَ: «اصْرِفْ بَصَرَكَ»(١)

اشتمل الحديث على توجيه نبوي صريح بوجوب غض البصر فورًا عند وقوع النظر المفاجئ، وفي هذا حماية للعين من التعلق بالمحرمات.

(١) رواه مسلم (٢١٥٩).

فكيف بزمان امتلأت فيه الهواتف بالصور الخليعة والمشاهد المحرمة؟

إن العين إذا أطلقت قادت القلب إلى الفتنة، ثم ربما أوردت العبد المهالك.

فكوني من اللواتي يغضضن أبصارهن طلبًا لرضا الله وصيانة لعفافهن.

المبحث الثالث: تجنّب العلاقات المحرمة عبر الإنترنت

لقد سهّلت الشبكات سبل المحادثات بين الرجال والنساء، فوقع كثيرون في الحرام.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»(١)

دل الحديث على أن فتنة النساء أعظم الفتن، وفي زمننا تضاعف خطرها عبر الإنترنت حيث الخلوات الافتراضية والمحادثات الخاصة.

أيتها الفتاة، إياك أن تنخدعي بكلمة أو إعجاب، فإنها بداية انزلاق خطير.

اعلمي أن من حفظت نفسها عن الحرام رفع الله قدرها وأكرمها بالستر في الدنيا والآخرة.

والواجب ألا ترد على أي رسائل تأتيها من أرقام غريبة، بل تبادر بحذفها دون تأمل ولا حديث.

ومن النصائح العملية للزوجة المؤمنة إن ابتلاها الله بهذا الجوال اللمس

لا تراسل رجلًا أجنبيًا مطلقًا، ولا تجيب على من لا تعرفينه.

(١) رواه البخاري (٥٠٩٦) ومسلم (٢٧٤٠) عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لا تدخل إلى مواقع ومجموعات إلا إن كانت لنساء معروفات، وإلا فلا فإن السلامة لا يعدلها شيء.

تجعل تواصلها محصورًا بما أذن به زوجها، وتحت نظره، فهذا من طاعتها له وصيانتها لنفسها.

أيتها الزوجة لتعلمي أن طاعتك لله ثم لزوجك في هذا الباب حصن لك من الشر، وزاد لك في الدنيا والآخرة.

أيتها المرأة المؤمنة، إن أشد ما يهدد العفاف اليوم تلك الخلوات الافتراضية والمحادثات الخاصة، فكوني امرأة تخاف الله صادقة، مقتدية بالمنهج الذي يحوط المرأة بالستر والحياء، واجعلي شعارك: السلامة لا يعدلها شيء.

المبحث الرابع: لزوم الاستقامة والثبات في زمن الفتن

الفتن إذا كثرت ضعفت القلوب إلا من ثبته الله على طاعته.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يَصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيَصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»(١)

دلت هذه الوصية العظيمة على خطورة الفتن وسرعة تقلب الناس بسببها، خصوصًا إذا ضعف الإيمان.

فكوني أيتها الزوجة الصالحة ممن يحفظ الله دينها، وتثبت على طاعته، وتجعل بيتها حصنًا ضد الفتن.

---

(١) رواه مسلم (١١٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واعلمي أن صلاحك هو أمان لزوجك وأهلك وأولادك، فكوني درعًا واقيًا ضد الشهوات والشبهات.

المبحث الخامس: الحذر من ضياع الأوقات على الشبكة

أيتها المرأة المسلمة، إن الوقت هو رأس مالك، وهو عمرك الذي ستسألين عنه يوم القيامة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِي مَاذَا أَفْنَاهُ»(١)

والانشغال المفرط بوسائل التواصل، وتضييع الساعات الطوال في النت، سبب لخراب البيوت وفتور العبادات وضياع الأمانة.

فالزوجة المؤمنة تقتصد في استعمالها، وتجعل أولويتها لبيتها وزوجها وعبادتها، وتحفظ وقتها عن التبديد فيما لا ينفع.

المبحث السادس: الزوجة القدوة في استعمال الهاتف والنت

أيتها الزوجة، إنك قدوة في بيتك لأولادك، فإن كنتِ متوازنة رشيدة في استخدامك للهاتف والإنترنت، نشأوا على الاعتدال، وإن كنتِ غارقة فيه بلا ضابط، فسدت التربية وضاع الأثر.

الزوجة العاقلة تجعل هاتفها وسيلة طاعة لا معصية، وبابًا للعلم والدعوة لا للهو والفتن.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٦) وحسنه الألباني.

تحفظ عينها من الصـور المحرمة، ولسـانها من المحادثات الفارغة، وتكون نموذجًا عمليًا لزوجها وأولادها في حسن استعمال التقنية.

وبهذا تسلم من الفتنة، وتؤجر على القدوة الحسنة.

الفصل السابع عشر: الزوجة والدعوة إلى الله وطلب العلم

الدعوة إلى الله شرف عظيم، وطلب العلم سبيل النجاة، ولا يليق بالزوجة المسلمة أن تكون غافلة عن هذا الباب، بل ينبغي أن يكون لها نصيب وافر منه، بما يتناسب مع طبيعتها وظروفها.

ويشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: الدعوة بالقدوة وحسن السيرة

المبحث الثاني: تعليم الأبناء وغرس الإيمان

المبحث الثالث: نشر الخير بين النساء

المبحث الرابع: طلب العلم الشرعي والتفقه في الدين

المبحث الخامس: الثبات على السنة والدعوة إليها

المبحث الأول: الدعوة بالقدوة وحسن السيرة

أيتها الزوجة المسلمة، أول ما تدعين به إلى الله هو عملك الصالح وسلوكك القويم داخل بيتك.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

الآية دلّت على أن الدعوة لا تنفصل عن العمل الصالح، فأعظم دعوة تقدّمينها أن تكوني مطيعة لله، محسنة لزوجك، مربية لأولادك، صابرة على أمانة بيتك، فبذلك ترفعين راية الإسلام في محيطك القريب.

المبحث الثاني: تعليم الأبناء وغرس الإيمان

أيتها الأم الصالحة، إن من أعظم ميادين الدعوة مسؤوليتك عن تربية أولادك.

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ... وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا»(١)

دل الحديث على أن المرأة مسؤولة أمام الله عن رعيتها، وأول رعيتها أولادها. فكوني أيتها الزوجة مدرسة إيمانية، اغرسي في نفوسهم محبة القرآن والسنة، وربّيهم على الصدق والحياء وحسن الخلق، فإن صلاحهم من بركة علمك وتقواك.

المبحث الثالث: نشر الخير بين النساء

للزوجة مجال دعوي عظيم بين أخواتها وصديقاتها وجاراتها.

---

(١) رواه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا»(١)

هذا الحديث يشمل النساء كما يشمل الرجال، فمن سمعت الحق فبلغته فهي داخلة في الوعد بالبركة والنضرة.

فاغتنمي مجالس النساء لنشر السنة، وتذكيرهن بالخير، واجتناب الغيبة والتبرج، وليكن لك أثر مبارك في محيطك النسائي.

المبحث الرابع: طلب العلم الشرعي والتفقه في الدين

أيتها المرأة المؤمنة، لا يليق بك أن تعيشي في بيت مسلم بلا نصيب من العلم الشرعي، فهو زادك في الدنيا والآخرة، وبه تقوم عبادتك وتصح معاملاتك، وتستقيم حياتك الزوجية.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(٢)

فهذا الحديث أصل في فضل الفقه في الدين، وهو شامل للرجال والنساء على السواء.

واعلمي أيتها الزوجة أنه إذا رزقك الله بزوج طالب علم، فذلك من أعظم النعم، فاغتنميها، وتعلمي منه، واطلبي منه أن يفتح لكِ دروسًا في بيتك أو خارج بيتك بما يتيسر،

(١) رواه الترمذي (٢٦٥٦) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٦٩).

(٢) رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واجعلي مجلسكما مجلس علم وذكر، فإن البيوت التي يعمرها العلم تشرق فيها أنوار الهداية، وتثبت فيها المودة والرحمة.

وربما يقدّر الله أن تكوني داعية مع زوجك، ترافقينه في سفر أو دعوة أو تعليم، فكوني على استعداد بعلمك وفقهك، لتكوني عونًا له ولسانًا بالخير.

فإن الدعوة إلى الله شرف عظيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، فلا دعوة بلا علم، ولا تأثير بلا بصيرة.

وقد عظّم الله شأن العلم في آيات كثيرة:

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، فالعلم رفعة في الدنيا والآخرة، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، فالعالم لا يُقاس بالجاهل، ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، والعلم الحق يملأ القلب نورًا ويقينًا، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، فثمرته الحقيقية الخشية والعمل الصالح.

فكوني أيتها الزوجة الصالحة ممن يجعلن للعلم مكانة في حياتهن، احرصي على التلقي من زوجك إن كان طالب علم، واستفيدي من توجيهاته، واجعلي نفسك شريكة له في طريق الدعوة والخير.

فإنكِ بذلك ترفعين قدرك عند الله، وتغنين نفسك بالعلم، وتكونين سببًا في صلاح بيتك ومجتمعك.

المبحث الخامس: الثبات على السنة والدعوة إليها

من واجب الزوجة الصالحة أن تثبت على السنة، وتدعو إليها، وتعتز بها.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي»(١)

دل الحديث على أن العصمة من الفتن في التمسك بالكتاب والسنة.

فكوني أيتها الزوجة ممن يعظم السنة ويدعو إليها، فإنك بهذا تثبتين بيتك على الصراط المستقيم، وتجعلين من نفسك منارة هداية لأولادك وأخواتك.

(١) رواه الحاكم (٣١٩) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٣٧).

الفصل الثامن عشر: ثمرات قيام الزوجة بحقوق زوجها

أيتها الفتاة المؤمنة، اعلمي أن طاعتك لزوجك وقيامك بحقه ليس فقط واجبًا شرعيًا، بل هو سبب عظيم للبركة والسعادة في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة.

ومن رحمة الله أن جعل لهذه الطاعة ثمرات جليلة، تُسعد المرأة في حياتها وبعد مماتها.

ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: رضا الله والفوز بالجنة

المبحث الثاني: استقرار البيت وسعادة الأسرة

المبحث الثالث: نيل محبة الزوج ومودته

المبحث الرابع: الذكر الحسن في الدنيا والآخرة

المبحث الأول: رضا الله والفوز بالجنة

عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ»(١)

دلت هذه البشارة على أن طاعة الزوج مقرونة بالفرائض العظام، حتى صارت سببًا عظيمًا للفوز بالجنة.

فطاعة الزوجة لزوجها ليست أمرًا دنيويًا فحسب، بل هي طريق معبّد إلى جنات النعيم، فطوبى لمن أخلصت في طاعتها ورضيت بما فرض الله عليها.

المبحث الثاني: استقرار البيت وسعادة الأسرة

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

اشتملت الآية على أن السكن والمودة والرحمة لا يتحقق إلا إذا التزم كل طرف بحقوقه، والزوجة بطاعتها لزوجها سبب في دوام هذا السكن واستمرار هذه المودة.

فإذا أحسّ الزوج بالرضا والسكينة مع زوجته، ألقى الله السعادة في قلبه، وسرت تلك السعادة إلى الأبناء، فكان البيت واحة من الطمأنينة والأنس.

(١) رواه أحمد (١٦٦١) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٠).

المبحث الثالث: نيل محبة الزوج ومودته

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُم مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ الْوَدُودُ الْوَلُودُ، الْعَؤُودُ عَلَى زَوْجِهَا، الَّتِي إِذَا آذَتْ أَوْ أُوذِيَتْ، جَاءَتْ فَأَخَذَتْ بِيَدِ زَوْجِهَا، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَذُوقُ غَمْضًا حَتَّى تَرْضَى»(١)

دلت هذه الوصية على أن الزوجة المطيعة الحريصة على رضا زوجها هي التي تحوز محبته ومودته، بل هي من أهل الجنة.

وما أجمل أن تكون المرأة سببًا في إدخال السرور على زوجها، فإن في ذلك مفتاحًا لمحبة صادقة تدوم مع الأيام.

المبحث الثالث: بركة الرزق وتيسير الأحوال

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ»(٢)

اشتمل الحديث على أن الزواج سبب للبركة والرزق، فإذا كانت الزوجة معينة لزوجها على العفاف، فتح الله لهما أبواب الرزق ويسّر لهما أحوال المعيشة.

ومن هنا فإن طاعة الزوجة وحسن تبعلها لزوجها من أعظم أسباب نزول الرزق واستقرار الحال.

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (٩١٢٠)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٧).

(٢) رواه الترمذي (١٦٥٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (١٣٥٢).

المبحث الرابع: الذكر الحسن في الدنيا والآخرة

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»(١)

إذا كان هذا في حق الزوج، فالزوجة التي تحسن العشرة وتقوم بحق زوجها تظفر كذلك بالثناء الحسن في الدنيا، وتُذكر بين الناس بخير. بل إن ذكرها الحسن يمتد إلى الآخرة، إذ يشهد لها عملها الصالح ويكون سببًا لرفعة درجتها عند الله.

وهكذا، أيتها الفتاة المسلمة، فإن طاعتك لزوجك وصبرك على القيام بحقوقه ليست عبئًا ولا قيدًا، بل هي طريق إلى الجنة، ومفتاح للسعادة، وسبب للرزق، ووسيلة لدوام المحبة، وذكر حسن يبقى ما بقي الدهر.

فهنيئًا لمن وعَتْ هذا المقصد العظيم، وجعلت بيتها قُربة لله تعالى.

(١) رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣٢٦٦).

الفصل التاسع عشر: صور عملية من حسن تبعّل الزوجة

ويشتمل هذا الفصل على عشرة مباحث:

المبحث الأول: تفقده في حال سفره

المبحث الثاني: الهدية له

المبحث الثالث: النشاط في بيته حال وجوده

المبحث الرابع: تفقد جسده والعناية به

المبحث الخامس: نظافة ثيابه وتطييبها

المبحث السادس: الهدوء حال وجوده وعدم إزعاجه

المبحث السابع: استقباله حال مقدمه

المبحث الثامن: نظافة أولاده حال وجوده

المبحث التاسع: التواصل معه حال غيابه

المبحث العاشر: الإبداع في إدخال السرور على الزوج

المبحث الأول: تفقده في حال سفره

أيتها الزوجة المؤمنة، من أعظم صور الوفاء أن تتفقدي زوجك في حال سفره، فتدعُو له بظهر الغيب، وتسألي عن حاله، وتطمئنيه على بيته وأولاده.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «دَعْوَةُ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ» (١)

فإذا كان هذا الفضل حاصلًا بدعوة المسلم لأخيه، فزوجك أولى الناس بدعائك، بل هو أحق الناس بوفائك وحرصك.

فاجعلي من سفره ميدانًا تُظهرين فيه صدق تبعّلك، بالدعاء له بالحفظ والتوفيق والرزق، وبأن يردّه الله إليك سالمًا.

ولا سيما في زماننا الذي انتشرت فيه الهواتف ووسائل المراسلات، فقد يسّرت لكِ فرصةً عظيمة للتواصل مع زوجك بالكلمات الطيبة: كأن تراسليه برسالة تقولين فيها: «كيف حالك»؟ «طمئنّا عنك»، «نحن ندعو لك»، «بيتك بخير» «وأولادك بخير»... وأثناء سيره في السفر كذلك ما بين الحين والآخر بما لا يزعجه فمثل هذه الكلمات تُدخل السرور على قلبه، وتبدد وحشة غربته، وتزيده محبة لك وحنينًا إلى بيتك.

المبحث الثاني: الهدية له

الهدية مفتاح للقلوب، وهي من أسباب دوام المحبة.

(١) رواه مسلم (٢٧٣٢) عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تَهَادَوْا تَحَابُّوا» (١)

ولو كانت الهدية شيئًا يسيرًا، فإنها تقع في قلب الزوج موقعًا عظيمًا، لأنها تدل على تذكرك له وحرصك على إدخال السرور عليه. قد تكون وردة، أو رسالة مكتوبة بخط يدك، أو طعامًا يحبه، أو عطرا أو خاتما أو ثوبا جديدا أو فهذه اللمسات الصغيرة تصنع أثرًا كبيرًا في قلبه.

المبحث الثالث: النشاط في بيته حال وجوده

أيتها الزوجة المؤمنة، من حق زوجك أن يراك نشيطة في بيته، مقبلة عليه بخدمة وابتسامة، لا كسولة ولا متثاقلة، فإن النشاط يشرح صدره ويدخل السرور على قلبه، ويجعله يجد في بيته راحته وسكينته.

وقد جاء في حديث الحصين بن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ عَمَّتِهِ أَنَّهَا أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ، فَقَالَ لَهَا: «أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟»

قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَ: «فَكَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟»

قَالَتْ: مَا آلُوهُ إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ.

قَالَ: «فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ»

وهذا الحديث أصلٌ في وجوب عناية المرأة بحق زوجها، وأنه طريقها إلى الجنة أو النار، ومن أوضح صور هذه العناية: نشاطها في بيته، وقيامها بشؤونه بطيب نفس.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٤٦٤).

ولكِ في أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أسوة حسنة، إذ قالت: «تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مَالٌ وَلا مَمْلُوكٌ وَلا شَيْءٌ غَيْرُ نَاضِحٍ وَفَرَسٍ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ، وَأَكْفِيهِ مِئُونَتَهُ، وَأَدُقُّ النَّوَى لِنَاضِحِهِ، وَأَعْلِفُهُ، وَأَسْتَقِي الْمَاءَ، وَأَخَرِّزُ غَرْبَهُ، وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أَحْسَنُ أَخْبِزَ، فَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتٍ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ.»(١)

فهذا يدل على صبرها ونشاطها في خدمة بيتها وزوجها، حتى وهي ابنة الصديق وأخت أم المؤمنين، فما أنقص ذلك من قدرها، بل زادها رفعة وشرفًا.

فيا أيتها الزوجة الصالحة، لا تحقري من نشاطك في خدمة بيتك شيئًا؛ فكل جهد تبذلينه، وكل بسمة صادقة تقدمينها، هي عبادة تتقربين بها إلى الله، وتثبتين بها مكانتك في قلب زوجك.

وإذا كان بيتك عامرًا بنشاطك وحرصك، صار جنة مودة وسكينة، وسُطرت لك في صحائف الأعمال حسنات جليلة.

المبحث الرابع: تفقد جسده والعناية به

من صور حسن التبعّل أن تعتني الزوجة بزوجها عند تعبه، فتغسل قدميه إذا رجع مجهدًا، أو تهيئ له ماء الغسل، أو تريح جسده بما تستطيع.

فخدمته في حال ضعفه وتعبه من أعظم القربات وأجمل دلائل الوفاء.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٢٤) ومسلم (٢١٨٢).

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في مرضه الأخير عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تقول: «إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَوَفَّى فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ.»(١)

كما روت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُسْأَلُ فِي مَرَضِهِ: «أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟» يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ أَنْ يَكُونَ حَيْثُ شَاءَ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهَا»(٢)

ففي ذلك أوضح الدلالة على أن خدمة الزوجة لزوجها في مرضه ورعايته في ضعفه من أسمى صور الوفاء، وهو دليل صدق المودة وتمام العشرة.

المبحث الخامس: نظافة ثيابه وتطييبها

من كمال حسن التبعّل أن تعتني الزوجة بثياب زوجها فتجعلها نظيفة طيبة الرائحة؛ فهذا مما يشرح صدره ويزيد أنسه ومحبته لها. وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يحب الطيب، وقد قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِأَطْيَبِ مَا أَجِدُ، حَتَّى أَجِدَ وَبِيصَ الطِّيبِ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ»(٣)

(١) رواه البخاري (٤٤٤٩)، ومسلم (٢٤٤٤).
(٢) رواه البخاري (٥٢١٧)، ومسلم (٢٤٤٢).
(٣) رواه البخاري (٥٩٢٣)، ومسلم (٢٠٥٠).

كما روت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها كانت تغسل ثياب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بنفسها، قالت: «كُنْتُ أَغْسِلُ الْجَنَابَةَ مِنْ ثَوْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ، وَإِنْ بَقَعَ الْمَاءُ فِي ثَوْبِهِ»(١)

فلتجعل الزوجة بيتها معطرًا، ولتعتنَ بملابس زوجها نظافةً وتطييبًا، ففي ذلك اقتداء بأمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وتحقيق لتمام المودة والرحمة بين الزوجين.

المبحث السادس: الهدوء حال وجوده وعدم إزعاجه

من كمال العقل وحسن التبعّل أن تهيئ الزوجة لزوجها جوًّا هادئًا عند عودته، فلا تستقبله بالصخب ولا بالخصام، بل باللين والرفق وحسن المعاملة.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

فالمطلوب من الحياة الزوجية تحقيق السكن والراحة، ولن يكون ذلك إلا بالهدوء والرفق بين الزوجين.

والرفق مع الزوج يقتضي ضبط الأولاد، وخفض الصوت، وتخفيف المطالب عند رجوعه من عناء العمل.

فإذا رأى بيتًا هادئًا، انشرح صدره، واطمأن قلبه، وكان ذلك سببًا في دوام الألفة بينهما.

(١) رواه البخاري (٢٢٩)، ومسلم (٢٨٨).

المبحث السابع: استقباله حال مقدمه

كان من الهدي أن تستقبل المرأة زوجها بأحسن هيئة، نظافةً وثوبًا جميلاً وبِشرًا في الوجه. وهذا من أعظم صور التودد التي تشرح صدره وتزيد مكانتها عنده.

ومن ذلك ما روي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ، فَرَأَى ذَلِكَ، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُ، فَاتَّخَذْتُ مِنْهُ وِسَادَتَيْنِ»(١)

فقد هيّأت بيتها لاستقبال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بزينة تراها حسنة، لكن لما كان فيها صور أنكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فاتخذت منها ما يباح.

فإذا عاد زوجك من سفر أو عمل، فقابليه بالترحاب، بابتسامة مشرقة، ورائحة طيبة، وبيت مرتب، فهذا مما يُدخل السرور على قلبه، ويقوّي أواصر المودة والرحمة بينكما.

المبحث الثامن: نظافة أولاده حال وجوده

من العناية الجميلة أن تحرص الزوجة على أن يرى أولاده في أجمل هيئة: ثياب نظيفة، رائحة طيبة، وأدب حسن؛ فهذا مما يسر قلبه ويدخل عليه الفرح، ويشعره أنها حريصة على إكرامه في ذريته.

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»(٢)

(١) رواه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧).

(٢) رواه مسلم (٩١).

فالنظافة وحسن الهيئة من محاسن الشريعة، وهي مطلوبة في الرجل وولده، لما فيها من إظهار النعمة وحسن الرعاية.

كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «سُرُورٌ تَدْخُلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ»(١)

ومن عظيم السرور الذي يدخل على الأب أن يرى أولاده في صورة حسنة، قد رعَتْهم أمهم، ونظّفت ثيابهم، وأحسنت تهذيبهم.

وبذلك يتحقق للزوج راحة القلب، ويدرك أن امرأته وفية حريصة على تكريمه في فلذات كبده.

المبحث التاسع: التواصل معه حال غيابه

إذا غاب عنك زوجك، فذكّريه بأنك تذكرينه وتفكرين فيه، وأشعريه بذلك بالوسائل المشروعة.

وقد قال الله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ [النساء: ٣٤].

ومن وسائل هذا في عصرنا أن تبعثي له الرسائل الطيبة التي تطمئنه وتُشعره بمودتك، مثل: «نحن بخير»، «طمئنّا عنك»، «حفظك الله ورعاك». فهذه الكلمات على بساطتها تثبّت قلبه، وتجعله أكثر محبة ووفاءً لك.

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٣٦٤٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٥٥).

المبحث العاشر: الإبداع في إدخال السرور على الزوج

أيتها المرأة المسلمة، اعلمي أن إدخال السرور على الزوج من أعظم القربات، وهو مفتاح دوام الألفة والرحمة، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٌ تَدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ**»(١)

فكيف إذا كان هذا المسلم زوجك وشريك حياتك؟

وليس السرور مقصورًا على الكلمة الطيبة أو الزينة الجميلة، بل يكون بابتكار وسائل جديدة: بمفاجأة حسنة، أو ترتيب لطيف، أو هدية غير متوقعة، أو أسلوب مرح يُدخل البهجة على قلبه.

فالمرأة الذكية تتفنن في صنوف الخير، وتبدع في وسائل الأنس، فتجمع بين الأجر والودّ، وبين رضا الله ورضا الزوج.

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٦٤٦) وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٥٥).

الفصل العشرون: ما يتعلق بالضرائر

ويشتمل هذا الفصل على ستة مباحث:

المبحث الأول: ترك الغيرة المذمومة

المبحث الثاني: الإحسان إلى الضرة وترك الأذى

المبحث الثالث: الرضا بالقسمة وعدم الشكوى

المبحث الرابع: التعاون مع الضرائر فيما ينفع الزوج

المبحث الخامس: كف اللسان عن المقارنة والشكوى

المبحث السادس: الصبر والاحتساب

المبحث الأول: ترك الغيرة المذمومة

أيها الزوجة الموفقة من الوفاء وحسن التبعّل أن تكفّي نفسك عن الغيرة المذمومة التي تثير الخصومات وتقطع حبال المودة، فإن الغيرة الفطرية لا تُلام عليها المرأة، لكن المذموم أن تُخرجها إلى سبابٍ أو أذى أو تنغيص على الزوج.

وقد وقع مثل هذا بين أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، حتى كسرت عائشة رضي الله عنها قصعةً جاءت بها إحدى الضرائر، فلم يزِد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أن قال: «غَارَتْ أُمُّكُمْ»(١)

فبيّن صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الغيرة طبيعة، لكن ضبطها هو المطلوب.

فاضبطي غيرتك بالرفق والحكمة، ولا تجعليها سببًا للخصومة أو الإساءة، بل اجعليها دافعًا لتجديد محبتك لزوجك وزينتك له.

المبحث الثاني: الإحسان إلى الضرة وترك الأذى

أيها المرأة من كمال الإيمان أن تحبي لغيرك ما تحبين لنفسك، فلا تؤذي ضرتك بلسان ولا بيد.

قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(٢)

والضرة أولى الناس أن تُراعى، لأنها شريكة لك في بيت واحد ورجل واحد.

---

(١) رواه أحمد (١٨٥٢٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٩٣٣).

(٢) البخاري (١٣)، مسلم (٤٥).

وقد قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن صفية: «بَلَّغَنِي عَنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا»، تعني قصيرة، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً، لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»(١)

فكان هذا زجرًا عن مجرد كلمة تؤذي الضرة.

فإياك والأذى، وأحسني إلى أختك، ولو بترك ما يكدّرها، لتجدي الأجر مضاعفًا، والراحة في قلبك.

المبحث الثالث: الرضا بالقسمة وعدم الشكوى

من تمام التبعّل أن ترضي بما قسم الله لك من زوجك، وألا تشتكي أو تعاتبي دائمًا بميل قلبه، فإن القسمة بيد الله ثم بيد الزوج بما شرع له من العدل.

وقد قال تعالى في أمهات المؤمنين: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣١].

فالصابرة الراضية لها أجران.

فارضي بنصيبك، واحتسبي الأجر عند الله، فإن السخط لا يغير شيئًا، وإنما يُذهب البركة والراحة.

المبحث الرابع: التعاون مع الضرائر فيما ينفع الزوج

من حسن التبعّل أن تجعلي بينك وبين ضرتك حدًّا من التعاون فيما يخص خدمة الزوج وإدخال السرور عليه، لا سيما عند مرضه أو شدة حاجته.

(١) رواه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢)، وصححه الألباني في «جامع الترمذي» (٢٥٠٠).

وقد اجتمعت نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على مصلحته، حتى في مرضه الأخير كن يتنازلن له أن يبيت حيث شاء، فاختار بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[1]

فهذا من صور تعاونهن في الوفاء بحقوقه.

فاجعلي غايتك مصلحة زوجك، ولو بالتنازل أحيانًا عن بعض رغباتك، فإن ذلك يزيدك عند الله رفعة وعند زوجك مكانة.

المبحث الخامس: كف اللسان عن المقارنة والشكوى

من العقل أن تكفّي لسانك عن الشكوى المتكررة، أو المقارنة بينك وبين ضرتك.

فإن ذلك يكدّر صفو الحياة، ويزرع العداوة في القلب.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[2]

وأقرب المسلمات إليك ضرتك، فهي أولى أن تكفّي لسانك عنها.

وقد جاء في قصة العسل أن بعض أمهات المؤمنين تعاونّ على تنغيص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقولهن له: «إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ»، فأنزل الله تعالى سورة التحريم يعاتبهن.[3]

وفي هذا زجرٌ عن الشكوى أو التحايل بما يكدّر قلب الزوج.

فاكظمي غيظك، واحفظي لسانك، يكن بيتك أهنأ، وقلب زوجك أصفى.

---

(١) رواه البخاري (٥٢١٧)، ومسلم (٢٤٤٢).

(٢) البخاري (١٠)، مسلم (٤٠).

(٣) البخاري (٥٢١٧)، مسلم (١٤٧٤).

قال الله ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤].

المبحث السادس: الصبر والاحتساب

من كمال الإيمان أن تصبري على ما تجديه من مشاركة الضرة لك في زوجك، محتسبةً ذلك عند الله، منتظرةً الأجر.

وقد قال الله ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الزمر: ١٠].

والصبر هنا من أعظم الصبر، لأنه يجمع بين كفّ النفس عن الغيرة المذمومة، وحفظ العشرة، ورعاية حقوق الزوج.

فاصبري واحتسبي، تجدي عند الله عوضًا عظيمًا، وتجدي في قلب زوجك وفاءً وتقديرًا.

الخاتمة

أيتها الزوجة المؤمنة، لقد مضى بنا هذا البحث في بيان مكانة الزواج في الإسلام، وحقوق الزوج الواجبة عليك والمستحبة، وما يترتب على ذلك من ثمرات في الدنيا والآخرة.

وقد تبين أن الزواج ليس مجرد ارتباط دنيوي، بل هو ميثاق غليظ، ورباط مقدس، تقوم سعادته على طاعة الله أولًا، ثم على التزام الزوجة بما فرض الله عليها تجاه زوجها.

ولقد مرّ معك أن طاعة الزوج واجب شرعي، وأن تقديم رضاه في غير معصية سبب للفوز بالجنة، ورأيتِ أن من محاسن الإسلام أن جعل البيت المسلم واحة مودة ورحمة، وأن قيامك بحقوق زوجك سبب في دوام السكن، واستقرار المعيشة، وتربية الأولاد على التقوى والاستقامة.

وعلمتِ أن من أعظم ما يحفظ الحياة الزوجية: حسن الخلق، وحسن التبعل، والحياء، وشكر الزوج، والصبر على ما قد يكون منه، وحفظ عرضه وماله، والقيام بواجبات البيت، وأن هذه كلها عبادات يُثاب المرء عليها، لا مجرد عادات.

ورأيتِ كذلك أن مخالفة هذه الحقوق من النشوز، وسوء المعاملة، والتبرج، والتقصير في الطاعة، كلها أبواب للفساد والشقاء، وأنها سبب لعقوبة عاجلة وآجلة.

وخلاصة القول:

أن طاعة الزوج والقيام بحقه هي من أعظم أسباب رضا الله، ومن أكبر أبواب دخول الجنة، ومن أعظم السبل إلى بركة الرزق، ودوام المودة، والعيش السعيد، وهي وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للمرأة المسلمة في كل زمان ومكان.

فيا أيتها الزوجة المسلمة، إذا أكرمك الله بزوج صالح، فاجعلي طاعته عبادة، ورضاه قربة، وصبرك عليه جنة، فإنما هي أيام معدودة، ثم لقاء عند رب كريم يجزي المحسنين بإحسانهم.

نسأل الله أن يوفق نساء المسلمين إلى ما يحبه ويرضاه، وأن يبارك لهن في أزواجهن وأولادهن، وأن يجعل بيوتهن عامرة بالطاعة والبركة والمودة والرحمة، إنه ولي ذلك والقادر عليه

جدول المحتويات

المقدمة ٤
واقع الزواج في زمن الفتن والشبهات ٧
تمهيد: في الحث على تيسير المهور وتخفيف مؤونة الزواج ٩
وخلاصة الأمر: ١٣
الميثاق الغليظ وحُسن اختيار الزوج ١٤
حُسن الاختيار أساس السعادة ١٤
خطر الانخداع بالدنيا ١٥
الزوج الصالح نعمة لا تُقدّر بثمن ١٦
كلمة ختام ١٦
الفصل الأول: مكانة الزواج في الإسلام وفضائله ١٧
ويشتمل هذا الفصل على إحدى عشر مباحثًا: ١٧
المبحث الأول: الزواج سكن ومودة ورحمة ١٨
المبحث الثاني: بالزواج تنالين الذرية والنسل ١٩
المبحث الثالث: الزواج باب للرزق والبركة وتيسير الأحوال ١٩

المبحث الرابع: الزواج من سنن الأنبياء والمرسلين ٢٢
المبحث الخامس: الزواج باب للعفاف وغض البصر وحفظ الفرج ٢٣
المبحث السادس: الزواج من طيبات الدنيا والانقطاع عنه منهي عنه ٢٥
المبحث السابع: الزواج عون على إقامة الدين ٢٥
المبحث الثامن: الزواج مباهاة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة ٢٦
المبحث التاسع: الزواج من أعظم أسباب السعادة في الدنيا ٢٧
المبحث العاشر: الزواج من خير متاع الدنيا ٢٨
المبحث الحادي عشر: الزواج يكسبك الأجور والحسنات ٢٩
الفصل الثاني: طاعة الزوج ٣١
ويشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث: ٣١
المبحث الأول: وجوب الطاعة في غير معصية ٣٢
المبحث الثاني: تقديم طاعته على غيره ٣٢
المبحث الثالث: حرمة امتناعها عن فراشه ٣٣
المبحث الرابع: عدم الخروج إلا بإذنه ٣٤
المبحث الخامس: عدم إدخال أحد بيته إلا برضاه ٣٤

الفصل الثالث: المعاشرة بالمعروف ٣٦
ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث: ٣٦
المبحث الأول: حسن الخلق معه ٣٧
المبحث الثاني: الصبر على ما تكره منه ٣٧
المبحث الثالث: التجمّل له والتودد ٣٨
المبحث الرابع: ستر عيوبه وحفظ سره ٣٩
الفصل الرابع: الزينة والجمال للزوج ٤٠
ويشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث: ٤٠
المبحث الأول: التزين المشروع للزوج ٤١
المبحث الثاني: الاعتناء بالنظافة واللباس ٤١
الاهتمام بالشَّعر والهيئة: ٤٢
حق الزوجة في زينة زوجها والعكس. ٤٢
المبحث الثالث: حدود الزينة أمام غير الزوج ٤٣
المبحث الرابع: أثر الزينة على دوام الألفة ٤٤
المبحث الخامس: اجتناب الإسراف في الزينة والتشبه بالكافرات ٤٤

الفصل الخامس: الخدمة ورعاية البيت ٤٦
ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث: ٤٦
المبحث الأول: خدمة الزوج في البيت ٤٧
المبحث الثاني: حسن ترتيب البيت بما يرضيه ٤٧
المبحث الثالث: تربية الأولاد ورعايتهم ٤٨
المبحث الرابع: حفظ الأولاد في غيبته ٤٩
الفصل السادس: حفظ مال الزوج وعِرضه ٥٠
ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث: ٥٠
المبحث الأول: الأمانة في المال وصيانته من الضياع ٥١
المبحث الثاني: حفظ نفسها من الخيانة ٥٢
المبحث الثالث: اجتناب أسباب الفتنة ٥٣
الفصل السابع: شكر الزوج والاعتراف بفضله ٥٤
ويشتمل هذا الفصل على سبعة مباحث: ٥٤
المبحث الأول: وجوب شكره بالقول والعمل ٥٥
المبحث الثاني: الاعتراف بفضله ٥٥

المبحث الثالث: الحذر من كفران العشير ٥٦
المبحث الرابع: الرضا بما قسم الله معه ٥٦
المبحث الخامس: اعتبار النفقة عبادة له ٥٧
المبحث السادس: عدم إثقاله بالطلبات ٥٧
المبحث السابع: الاقتصاد والبعد عن التبذير ٥٨
الفصل الثامن: إعانة الزوج على الطاعة ٥٩
ويشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث: ٥٩
المبحث الأول: تذكيره بالله عند الغفلة ٦٠
المبحث الثالث: الدعاء له بظهر الغيب ٦١
المبحث الرابع: نصحه برفق وحكمة ٦٢
المبحث الخامس: ستر الزوج وعدم إفشاء زلته ٦٢
الفصل التاسع: الكلام والحديث مع الزوج ٦٤
ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث: ٦٤
المبحث الأول: خفض الصوت معه ٦٥
المبحث الثاني: اجتناب الجدال وكثرة اللوم ٦٦

المبحث الثالث: أثر الكلمة الطيبة في قلب الزوج ٦٩
أمثلة للكلمة الطيبة التي تأسر قلب الزوج: ٧١
عند دخوله البيت: ٧١
عند جلوسه متعبًا: ٧١
عند خروجه: ٧١
عند إحسانه وكرمه: ٧١
كلمات محبّة دافئة: ٧٢
المبحث الرابع: تجنّب الكلمات الجارحة ٧٢
الفصل العاشر عشر: الغيرة وآدابها ٧٥
ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث: ٧٥
المبحث الأول: الغيرة المحمودة على العرض ٧٦
المبحث الثاني: ضبط الغيرة بما لا يفسد العشرة ٧٦
المبحث الثالث: الغيرة التي توقع في سوء الظن ٧٧
المبحث الرابع: الغيرة المفرطة سبب الشقاق ٧٧
وختاما: ٧٩

الفصل الحادي عشر: الزوجة والتعامل مع أهل الزوج ٨١
ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث: ٨١
المبحث الأول: برّ والديه ٨٢
والخلاصة أيها الزوجة الموفقة من فوائد إعانتك له على بر والديه: ٨٣
المبحث الثاني: احترام إخوته وأقاربه ٨٤
المبحث الثالث: الإصلاح بينه وبين أهله ٨٦
المبحث الرابع: ستر عيوبه أمامهم ٨٨
الفصل الثاني عشر: الصبر في المواقف الصعبة ٩٠
ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث: ٩٠
المبحث الأول: الصبر على فقره ٩١
المبحث الثاني: الصبر على شدته ٩٢
المبحث الثالث: الثبات عند سفره وغيابه ٩٤
المبحث الرابع: خدمته عند مرضه وكِبَره ٩٤
الفصل الثالث عشر: محاذير يجب اجتنابها ٩٧
ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث: ٩٧

المبحث الأول: التحذير من النشوز ٩٨
الخلاصة: ١٠٠
المبحث الثاني: رفع الصوت على الزوج ١٠٠
الخلاصة: ١٠٢
المبحث الثالث: التطلع إلى غيره من الرجال ١٠٢
الخلاصة: ١٠٤
الفصل الرابع عشر: الوفاء بعد موت الزوج ١٠٥
ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث: ١٠٥
المبحث الأول: حفظ اسمه وذكره بخير ١٠٦
ختاما: ١٠٦
المبحث الثاني: رعاية أولاده وأيتامه ١٠٧
المبحث الثالث: الصبر على ترمّلها واحتساب الأجر ١٠٨
الفصل الخامس عشر: أحكام خاصة بالزوجة ١١٠
ويشتمل هذا الفصل على سبعة مباحث: ١١٠
المبحث الأول: صوم التطوع بإذن الزوج ١١١

المبحث الثاني: السفر وآدابه (ومع المحرم)..... ١١١
المبحث الثالث: الإحداد والعدة بعد وفاة الزوج ١١٢
فدلت الآية والسنن على أمور عظيمة: ١١٣
المبحث الرابع: الإنفاق من طعام البيت بالمعروف ١١٣
المبحث الخامس: النهي عن طلب طلاق الضرة ١١٤
المبحث السادس: النهي عن طلب الطلاق بلا بأس ١١٥
المبحث السابع: النهي عن وصف النساء للزوج ١١٥
الفصل السادس عشر: نوازل العصر وآداب العفة الرقمية ١١٦
ويشتمل هذا الفصل على ستة مباحث: ١١٦
المبحث الأول: الحذر من فتنة وسائل التواصل..... ١١٧
المبحث الثاني: وجوب صيانة العين من الصور المحرمة ١١٧
المبحث الثالث: تجنّب العلاقات المحرمة عبر الإنترنت..... ١١٨
المبحث الرابع: لزوم الاستقامة والثبات في زمن الفتن..... ١١٩
المبحث الخامس: الحذر من ضياع الأوقات على الشبكة..... ١٢٠
المبحث السادس: الزوجة القدوة في استعمال الهاتف والنت..... ١٢٠

الفصل السابع عشر: الزوجة والدعوة إلى الله وطلب العلم ١٢٢
ويشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث: ١٢٢
المبحث الأول: الدعوة بالقدوة وحسن السيرة ١٢٣
المبحث الثاني: تعليم الأبناء وغرس الإيمان ١٢٣
المبحث الثالث: نشر الخير بين النساء ١٢٣
المبحث الرابع: طلب العلم الشرعي والتفقه في الدين ١٢٤
المبحث الخامس: الثبات على السنة والدعوة إليها ١٢٦
الفصل الثامن عشر: ثمرات قيام الزوجة بحقوق زوجها ١٢٧
ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث: ١٢٧
المبحث الأول: رضا الله والفوز بالجنة ١٢٨
المبحث الثاني: استقرار البيت وسعادة الأسرة ١٢٨
المبحث الثالث: نيل محبة الزوج ومودته ١٢٩
المبحث الثالث: بركة الرزق وتيسير الأحوال ١٢٩
المبحث الرابع: الذكر الحسن في الدنيا والآخرة ١٣٠
الفصل التاسع عشر: صور عملية من حسن تبعّل الزوجة ١٣١

ويشتمل هذا الفصل على عشرة مباحث: ١٣١
المبحث الأول: تفقده في حال سفره ١٣٢
المبحث الثاني: الهدية له ١٣٢
المبحث الثالث: النشاط في بيته حال وجوده ١٣٣
المبحث الرابع: تفقد جسده والعناية به ١٣٤
المبحث الخامس: نظافة ثيابه وتطييبها ١٣٥
المبحث السادس: الهدوء حال وجوده وعدم إزعاجه ١٣٦
المبحث السابع: استقباله حال مقدمه ١٣٧
المبحث الثامن: نظافة أولاده حال وجوده ١٣٧
المبحث التاسع: التواصل معه حال غيابه ١٣٨
المبحث العاشر: الإبداع في إدخال السرور على الزوج ١٣٩
الفصل العشرون: ما يتعلق بالضرائر ١٤٠
ويشتمل هذا الفصل على ستة مباحث: ١٤٠
المبحث الأول: ترك الغيرة المذمومة ١٤١
المبحث الثاني: الإحسان إلى الضرة وترك الأذى ١٤١

المبحث الثالث: الرضا بالقسمة وعدم الشكوى ١٤٢
المبحث الرابع: التعاون مع الضرائر فيما ينفع الزوج ١٤٢
المبحث الخامس: كف اللسان عن المقارنة والشكوى ١٤٣
المبحث السادس: الصبر والاحتساب ١٤٤
الخاتمة ١٤٥
وخلاصة القول: ١٤٦
جدول المحتويات ١٤٧
تلخيص الفوائد ١٥٩

تلخيص الفوائد

صدر حديثًا للمؤلف

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢
عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف محطة النهدي
+٩٦٧٧٧٠٠١٢٥٢٢
حضرموت الحامي - جوار مسجد أنور - الشارع الشرقي من النادي
+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ - +٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨
حضرموت سيئون شحوح - مقابل مسجد ابراهيم . ومدرسة شحوح للبنين
+٩٦٧٧٨٣٢٤٦٥١٣
alshafibooks@gmail.com